مناظرات مع الشيطان | ١

تَفْلِيسُ إِبْلِيس

«مقدمة في ذكر تلبيس إبليس»

تأليف

الشيخ عز الدين عبد السلام بن أحمد المقدسي

المتوفى سنة ٦٧٨ هـ رحمه الله

حققه وضبط نصَّه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه وقدَّم له

أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي

بسم الله الرحمن الرحيم

تفليسُ إبْليس

«مقدمة في ذكر تلبيس إبليس»

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة ابن الجوزي

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

مكتبة ابن الجوزي
المملكة العربية السعودية

الدمام - شارع ابن خلدون - ص.ب ٣٦٤٦
تلفون ٨٢٦٧٩٨٣ - الرمز البريدي ٣١٤٨١

الاحساء - الهفوف - شارع الجامعة
تلفون ٥٨٢٤٦٧٢ - ص.ب ١٧٨٦

مقدمة

إنَّ الحمــدَ لله، نحمـدُه ونستعينُـه ونستغفـرُه، ونعـوذُ بالله من شرور أَنفسِنا ومن سيِّئات أَعمالِنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلِلْ فلا هاديَ له، وأَشهدُ أَنْ لا إِله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأَشهدُ أَنَّ محمداً عبدهُ ورسولهُ.

أما بعد:

فإن الله جل جلاله بعث رسله وأنبياءه ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ بالبيـان الكـافي، والـدواء الشافي؛ لئلا يكون لله على الناس حجة من بعد الـرسـل، فأقبل الشيطان يجْلِبُ بخيلِهِ ورَجِلِهِ، وكيده وحِيَله؛ يخلط البيان شبهاً، ويضع في الدواء سماً.

ولكنْ يأبى الله إلا أن يتم نوره؛ فسـار عبـاد الله المخلصـون سالمين من هٰذا العـدو وغـروره، محذرين من تلبيسه وشروره؛ لأن في تعريف الشر صدّاً عن الوقوع فيه.

ولكنَّ بعضهم لم يكتف بالدفاع، بل شن على الشيطان غارة، وأبى إلا حواره، وتسوَّر حصونه وسط أعوانه وعيونه، ودعاه إلى حلبات النزال،

ومقارعة الأبطال، فجرت بينهما مناظرات؛ أعلن الشيطان فيها إفلاسه، وتنازل عن درعه وأحلاسه، ولكن ليكرَّ على الغافلين؛ لأنه لم يسطع الوصول للمخلصين.

وقد وقع نظري على هٰذه المناظرات، فقلَّبتها، فوجدتها قد دبَّجَتْها يراعة علاَّمة نِحْرير، بمنهج الوعظ بصير، فاستخرت الله في إخراجها محققة مضبوطة؛ ليقف القارىء على فوائدها بيسر، ويقتنص شواردها فيُسَرّ.

وأسأل الله تبارك وتعالى أن ينفع بها، ويتقبلها بقبول حسن، ويدَّخر ثواب ذٰلك إلى يوم لقائه، إنه سميع عليم.

وعلى الله قصد السبيل.

وكتبه

أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي

ليلة الخميس عشاء غرة شعبان

سنة ألف وأربع مئة وتسع بعد الهجرة

في عمان البلقاء عاصمة الأردن

□□□□□

عملي في الكتاب

١ ـ قمتُ بنسخ المخطوطة .

٢ ـ قابلتُ المنسوخ على المخطوط مرتين؛ لتلافي أي سقط أو تصحيف .

٣ ـ ضبطتُ نص الكتاب كاملاً .

٤ ـ شرحت الكلمات الغريبة .

٥ ـ ميَّـزتُ الآيـات عن كلام المصنف ، وعزوتُها لسورها ، وأصلحت الخطأ الذي وقع فيها .

٦ ـ ميَّزتُ الأحاديث ، وخرجتها من مظانِّها من كتب السنة ، وحكمت عليها حسب القواعد الحديثية .

٧ ـ علقتُ على بعض المواطن تصحيحاً لفكرة أتى بها المصنِّف ، أو **دفعـاً لتـوهُّم قد يقع فيه القارىء ، أو استدراكاً لمسألة أراها ضرورية لم يذكرها المصنف ، والإحاطة ممتنعة على بني آدم .**

٨ ـ ترجمت للمصنف ترجمة وافية .

٩ ـ صححت الأغلاط النحوية والإملائية الواقعة في المخطوطة، وأشـرت إلى ذلـك في الهـوامش، وما بين معكوفتين زيادة مني يقتضيها السياق اللغوي.

١٠ ـ صنعت فهارس للكتاب:

أ ـ فهرس الآيات.

ب ـ فهرس الأحاديث والآثار.

ت ـ فهرس الموضوعات والفوائد.

ث ـ ثبت المراجع والمصادر.

□□□□□

ترجمة المصنف

١ ـ نسبه ونسبته :

هو عز الدين عبد السلام بن أحمد بن غانم بن علي بن إبراهيم بن عساكر بن حسين الأنصاري المقدسي المصري الشافعي .

٢ ـ كتبه :

١ ـ «إفراد الأحد عن أفراد العدد» .

٢ ـ «تفليس إبليس» .

٣ ـ «حل الرموز ومفاتيح الكنوز» .

٤ ـ «الروض الأنيق في الوعظ الرقيق» .

٥ ـ «طرق الوسائل وتملق الرسائل» .

٦ ـ «الفتوحات الغيبية في الأسرار القلبية» .

٧ ـ «كشف الأسرار عن الحكم المودعة في الطيور والأزهار» .

٨ ـ «كشف الأسرار ومناقب الأبرار ومحاسن الأخيار بجميل العبارة ولطيف الإشارة» .

٣ ـ مكانته العلمية ورحلاته :

كان ـ رحمه الله ـ أحد المبرزين في الوعظ ، فكُتِبَ له القبول لدى الناس ، وكان ذو نثر فائق ، ونظم رائق ، فقد وصفه ابن كثير ـ رحمه الله ـ في «البداية والنهاية» (١٣ / ٢٨٩) :

«الواعظ ، المطبق ، المفلق ، الشاعر ، الفصيح» .

ووصفه ابن العماد الحنبلي ـ رحمه الله ـ في «شذرات الذهب» (٥ / ٣٦٢) :

«أحد المبرِّزين في الوعظ ، والنظم ، والنثر» .

وفي سنة ٦٧٥هـ رحل إلى الحجاز ، حيث تكلَّم عند الكعبة المشرفة ، يستمع إليه جمهرة من أهل العلم ؛ منهم : ابن دقيق العيد ، وابن الفزاري ، وابن العجيل من علماء اليمن ، وغيرهم من العُبَّاد والعلماء ، فأجاد وأفاد ، وخطب ، فأبلغ وأحسن .

٤ ـ وفاته ـ رحمه الله :

توفي ـ رحمه الله ـ في شوال سنة ٦٧٨هـ[١] ، ودُفِنَ بالقاهرة .

٥ ـ مصادر ترجمته :

١ ـ «الأعلام» : للزركلي ، (٣ / ٣٥٥) .

---

(١) وقع في «كشف الظنون» و «هدية العارفين» أن وفاته كانت سنة ٩٧٨هـ ، وضبطت بالحروف ، وهو خطأ ظاهر .

٢ ـ «البداية والنهاية» : لابن كثير، (١٣ / ٢٨٩).

٣ ـ «شذرات الذهب» : لابن العماد الحنبلي ، (٥ / ٣٦٢).

٤ ـ «كشف الظنون» : لحاجي خليفة، (ص ٤٦٣).

٥ ـ «مرآة الجنان» : لليافعي ، (٤ / ١٩٠).

٦ ـ «معجم المؤلفين» : لعمر رضا كحالة ، (٥ / ٢٢٣).

٧ ـ «هدية العارفين» : للبغدادي ، (١ / ٥٧١).

□□□□□

وصف المخطوطة

● توجد النسخة المعتمدة في الجامعة الإسلامية ـ عمادة شؤون المكتبات ـ المخطوطات، برقم (٢٥٣ / ق ـ وعظ وإرشاد).

● عدد أوراقها (٩).

● في كل ورقة (٢٨) سطراً، ومتوسط كلمات كل سطر إحدى عشرة كلمة.

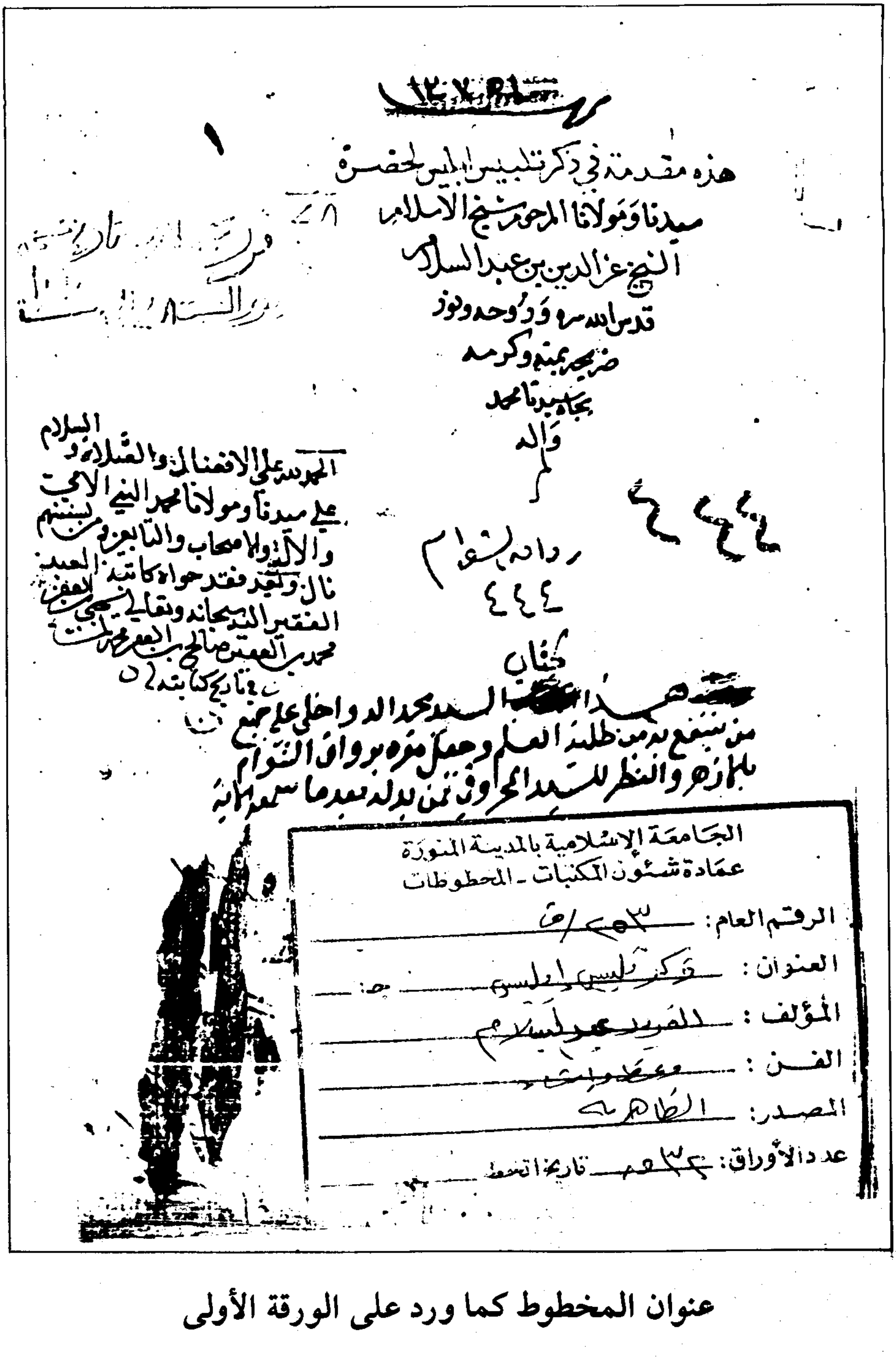
● وهي مكتوبة بخط واضح في القرن الحادي عشر.

● وفيها أخطاء نحوية وإملائية كثيرة، قد أصلحتها ونبهت عليها في الحواشي، وقد أشرت إلى ذٰلك آنفاً.

تنبيه:

أثبت الناسخ عنوان المخطوط؛ كالآتي: «هٰذه مقدمة في ذكر تلبيس إبليس»، ووجدت أن المصنف سمى كتابه: «تفليس إبليس»، فأثبتُّ ما أراده مصنف الكتاب، فليعلم، وجعلت الآخر عنواناً فرعياً.

□□□□□



عنوان المخطوط كما ورد على الورقة الأولى


المقوي القادر عليه وأما الذي للعاجز نوع اشتراك معه في فعله مجازاً لا حقيقة
والحق سبحانه وتعالى إنما أثبت لك فعلاً لتتوجه جهة الأمر والنهي عليك وجعل الإرادة
والمشيئة إليه والهداية والضلالة لديه فيهدي من يشاء ويضل من يشاء لا يسأل عما
يفعل وهم يسألون فأنت مستعمل بالاختيار وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم
الخيرة سبحانه وتعالى عما يشركون ثم اعلم أن هذه المسألة المعضلة المشكلة
هي أصل منشأ الهدى والضلالة وطريق العلم والجهالة ولقد تورط في
تحقيقها كثير من زمر الجهال وعمي عن طريقها أمم من الضلال فكان أول من
زلق في مزالقها إبليس اللعين لما هوى هوة المخالفة ظن أن اعتماده على عكازة
المشيئة تخفيه فقال بما أغويتني ثم إلى عكازة المشيئة وتعلق بحبال الأمر
فقال لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين ففي الأول قطع زنار العبودية
بإحالته على المشيئة فسن مذهب الجبرية وعمي عن الطريق القويم والصراط المستقيم
وهو التمسك بطرفي الأمر والإرادة كما فعل آدم . قالا ربنا ظلمنا أنفسنا
وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فلما كان إبليس أول من أبعد من
رحمة الله ولبس على عباد الله ودلس الطريق إلى الله بمعصية الله أحببت
أن أوقفه موقف الجدال وأنا قائم بلسان الحال الذي لا يرد بمحال فأنا أقوم
بلسان الشريعة لسد الذريعة ثم أنا منه بلسان الحقيقة لسلوك الطريقة
فإذا قلت ومن الخبير إبليس علم متابعوه ومتابعوه أن جهة الزائغة ومحجته
الزائغة ينصتون من يجري مجراه ويسري مسراه وهو الذي أردنا ملته ومعناه
فإن إبليس وإن كان قد نفذ حكم الله فيه وجرى عليه قلم الشقاوة بعده من الله
لكن شياطين الإنس وألسنة الجن أشد بأساً وأصعب مراساً وأقوى وسواساً
من وسواس إبليس وأشد منه في التلبيس ولذلك بدأ الله بذكرهم وحذر من
أمرهم فقال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن فالنفس
إلى شياطين الإنس أميل وهو عليها أقوى وأجل فهم حلفاء الشيطان وخلفاؤه
وأولياؤه وألفاؤه وقد وضعت كتابي هذا لتمييز شمل الفريقين وتفريق ما بين
الفرقتين وسميته تقليب إبليس ليكشف للناظر فيه تلبيس إبليس
فيميز بين المخلص والمفلس فإني لما اطلعت على كتاب تلبيس إبليس رأيته
يلبس تلبيس فإنه يشتمل على تنقيص أولياء الله والقدح في علو مراتبهم وزكي
مناصبهم وإيهام أن الشيطان تسلط عليهم تسلط إغوائنا واحترازاً لأولياء الله

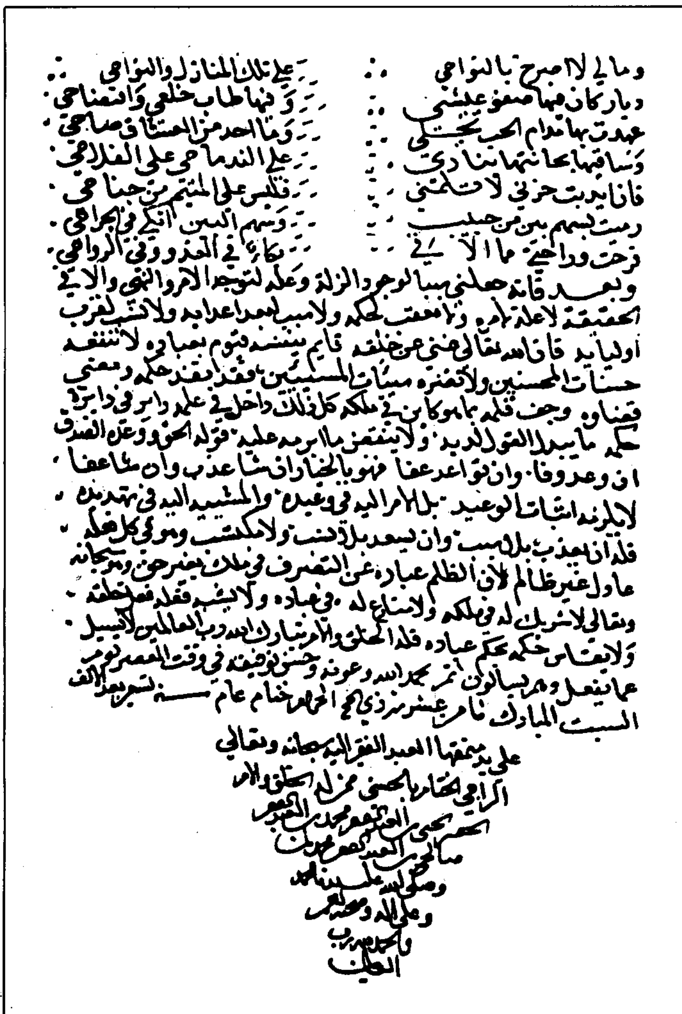
عنوان الكتاب كما سماه المصنف

وقد ورد في الورقة (٣ / أ)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
الحمد لله الذي خلق آدم وجعله للبشر أبا. واستخرج ذريته وجعلهم قبائل
وشعبا واجرى عليهم قلم القضاء والقدر وجعل لكل شيء سببا فما كان من عمل صالح.
كان من العبد مكتسبا. ومن الرب عز وجل مقدرا مكتتبا فمن احسن مع الله ادبا.
تضرع اليه رغبا ورهبا. وشمر للقيام بامره حبا منه وطلبا. خلق آدم من تراب.
فرات الملائكة خلقا عجبا ونفخ من روحه فصار بقدرته لحما ودما وعظاما
وعصبا. فلما رأت تعجبهم قالوا ان هذا الخلق نبا. صالوا عليه بصارم تسبيحهم
فنبا. فاجروا بالفخار جوادا تقديسهم فكبا. فجعلت كما رجحانيتهم ان يسجدوا لآدم
الا ابليس ابى. احمده حمدا كلما كرر على الاسماع زادت طربا. واشكره شكرا
كلما تفوه به الشاكر بلغ من الله اربا واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
شهادة ترفع لقائلها عند الله رتبا واشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله
ارسله من اكرم الناس نسبا واطيبهم حسبا. واحسنهم خلقا وخلقا وادبا
صلى الله عليه وعلى اله ما اثارت الريح سحابا. واثارت المذاهب نجوما وشهبا
وبعد فاني نظرت بعين اليقين وابره السعادة والشقاوة تدور على
خلقة الامر ومراكز الارادة وبينهما فرق دقيق يدق على التحقيق. ومضيق يفتقر
سالكه الى رفيق للتوفيق. فالامر مذهب والارادة مذهب فما وحد الامر مذهبه
الارادة. الامر يقول افعل والارادة تقول لا تفعل. والفعال لما يريد لا يسأل
عما يفعل. فقوم علقوا بالامر فضلوا. وقوم علقوا بالارادة فزلوا. وقوم جمعوا
بين الامر والارادة. فهدوا الى الصراط المستقيم فاستقلوا فاما الذين علقوا
بالامر اضافوا الفعل الى انفسهم تقديرا وفعلا. وقالوا ان الله لم يخلق الشر
ولم يقدره ولم يرده وانما هو من خلق انفسنا وفعلها العبد بقدر ارادة
وزعموا لجهلهم ان ذلك تنزيها للباري سبحانه وتعالى عن الرذائل والقبائح
وان يجعلها العبد ويقدرها عليه فعموا بما زعموا وضلوا من حيث تنزهوا فاشركوا
بالله اذ شاركوا الله في فعله وخلقه وتقديره. ولزمهم في اعتقادهم ان
يكون عاجزا في حكمه وقضائه عن كثير من خلقه لان المعصية اكثر من الطاعة
والشرائع من الخير والكفر اعم من الايمان فاذا اعتقدت ان الله لم يرد
ذلك الشر وانت قدرتها على نفسك ثم وجدت مرادك دون مراد الله تعالى
فارادتك اذا غالبة لارادته فقد غلبته في حكمه وقهرته في ملكه ومحوت

ارادته

بداية الكتاب



وما لي لا أصرح بالنواحي .. على تلك المنازل والنواحي ..
ديار كان فيها ممنوع عيشي .. وفيها طاب خلقي وانشراحي .
عهدت بها مدام الحب تجلى .. وما أحد من الحسنا فصاحي .
وساقيها بحانتها ينادي .. على الندما حي على الفلاح .
فأنا يدريك حزني لا تلمني .. فقلبي على المتيم من جناح .
رمت بسهم البين من حبيب .. وسهم البين أنكى في الجراح .
زحت وراحت ما إلا [illegible] .. بكاء في الغدو وفي الرواح .
وبعد فإنه جعلني سببا لوجود الزلة وعلة لتوجه الأمر والنهي والإيجاب
الحقيقة لا علة لأمره ولا معقب لحكمه ولا سبب لبعد أعدائه ولا نسب لقرب
أوليائه فإن الله تعالى غني عن خلقه قائم بنفسه متقوم بصفاته لا تنفعه
حسنات المحسنين ولا تضره سيئات المسيئين فقد نفذ حكمه ومضى
قضاؤه وجف قلمه بما هو كائن في ملكه كل ذلك داخل في علمه وأمره في دائرة
حكمه ما يبدل القول لديه ولا ينتقض ما أبرمه عليه قوله الحق وعن الصدق
إن وعد وفا وإن توعد عفا فهو بالخيار إن شاء عذب وإن شاء عفا .
لا يلزمه إثبات الوعيد بل الأمر إليه في وعيده والمشيئة إليه في تهديده .
فله أن يعذب بلا سبب وأن يسعد بلا ذنب ولا مكتسب وهو في كل فعله .
عادل غير ظالم لأن الظلم عبارة عن التصرف في ملك غير وهو سبحانه
وتعالى لا شريك له في ملكه ولا منازع له في عباده ولا يشبه فقد فضل خلقه .
ولا يقاس حكمه بحكم عباده فله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين لا يسأل
عما يفعل وهم يسألون تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه في وقت العصر يوم
السبت المبارك ثامن عشر من ذي الحجة الحرام ختام عام سنة ثلاث بعد الألف
على يد مبتغيها العبد الفقير إلى الله سبحانه وتعالى
الراجي [illegible] بالحسنى [illegible]
[illegible]
[illegible]
وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم
والحمد لله رب
العالمين

الورقة الأخيرة

خطبة الكتاب

بسمِ الله الرحمٰنِ الرحيمِ ، وصلَّى الله على سيِّدِنا محمَّد وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلَّم .

الحمدُ للهِ الذي خَلَقَ آدمَ ، وجَعَلَهُ للبشرِ أباً ، واستخرجَ ذُرِّيَّتَهُ ، وجعلَهُم قبائلَ وشُعَباً ، وأجرى عليهم قلمَ القضاءِ والقدرِ ، وجَعَلَ لكلِّ شيءٍ سبباً ، فما كان مِن عملٍ صالحٍ ؛ كانَ مِن العبدِ مُكتَسَباً[1] ، ومن الرَّبِّ ـ عز

---

(١) مسألة الكسب التي ذكرها المصنف ـ رحمه الله ـ بنى عليها الأشاعرة معتقدهم في قضية «أفعال العباد» لعلهم أن يوفقوا بين الجبرية والقدرية .

ولكنَّ مَن تأمَّلها بعين الإنصاف ؛ وجدها تؤول إلى الجبرية المحضة ؛ لأنها تنفي قدرة العبد وتأثيره ، حتى إن الفخر الرازي قال :

«إنَّ الإنسان مجبور في صورة مختار» .

وأما حقيقتها النظرية المجردة ، فقد عجز الأشاعرة أنفسهم عن فهمها وتصورها ، بله إفهامها لغيرهم ، وقد نقل اختلافهم عبدالقاهر البغدادي في «أصول الدين» (ص ١٣٣) ، فقال :

«واختلف أصحابنا في تفسير معنى الكسب . . . » .

ولذلك أنشد بعضهم : =

وجلَّ ـ مقدَّراً مُكتتباً، فمَن أحسنَ مع اللهِ أدباً؛ تَضرَّعَ إليهِ رَغَباً ورَهَباً، وشَمَّرَ للقيامِ بأمرِهِ حبًّا منهُ وطَلَباً.

خَلَقَ آدمَ مِن ترابٍ، فرأتِ الملائكةُ خَلْقاً عَجباً، ونَفَخَ [فيه] من روحِهِ، فصارَ بقدرتِه لحماً ودَماً وعظاماً وعَصباً، فلما زادَ تعجُّبُهم؛ قالوا: إن لهٰذا الخلق نبأ، صالوا[1] عليهِ بصارمِ تسبيحِهم فنبا[2]، فأجروا بالفَخارِ

= مِمَّا يُقالُ ولا حَقيقَةَ تحتَهُ مَعْقولَةً تَدْنو مِن الأفهامِ
الكَسْبُ عندَ الأشْعَرِي والحالُ عندَ البَهْشَميِّ وطفرةُ النَّظَّامِ

إلا أن البغدادي حاول أن يوضحها، فنقل مثالاً عن بعض أصحابه (ص ١٣٤):

«وقد ضرب بعض أصحابنا للاكتساب مثلاً في الحجر الكبير؛ قد يعجز عن حمله رجل، ويقدر آخر على حمله مفرداً، إذا اجتمعا جميعاً على حمله؛ كان حصول الحمل بأقواهما، ولا خرج أضعفهما عن كونه حاملاً، كذٰلك العبد لا يقدر على الانفراد بفعله، ولو أراد الله الانفراد بإحداث ما هو كسب للعبد قدر عليه، ووجد مقدوره، فوجوده على الحقيقة بقدرة الله تعالى، ولا يخرج مع ذٰلك المكتسب من كونه فاعلاً، وإن وجد الفعل بقدرة الله تعالى. فهٰذا قول معقول وإن جهله القدرية». أ. هـ.

وعلى هٰذا المثال الفاسد يعتمد الجبرية، وبه يتجرأ القدرية المنكرون؛ لأن الرجل الأقوى لو عذب الرجل الضعيف، وعاقبه على حمل الحجر، فإنه يكون ظالماً باتفاق العقلاء؛ لأن الضعيف لا دور له في الحمل، وهٰذه المشاركة الصورية لا تجعله مسؤولاً عن حمل الحجر.

وقد تصدَّى لتفنيد هٰذه المقولة غير المعقولة إمام من أهل الحق وعُدوله، وهو شيخ الإسلام الثاني ابن قيم الجوزية في كتابه المستطاب: «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» (ص ١٢٠ وما بعدها).

(١) وثبوا.

(٢) لم يقطع.

جوادَ تقـديسِهِم فكَبـا، فجُعِلَتْ كفَّـارةُ جِنـايَتِهم أَنِ اسجُـدوا لآدمَ[1]؛ ﴿**إِلَّا إِبْلِيسَ أَبى**﴾ [الحجر: ٣١].

أحمـدُه حمـداً كلَّما كُرِّر على الأسماعِ ؛ زادَت طَرَباً، وأَشكُرُه شُكراً كُلَّمـا تَفَـوَّهَ بِهِ الشَّـاكـرُ؛ بلَغ مِن اللهِ أَرَباً[2]، وأَشهدُ أَنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، شهادةً ترفعُ لقائِلِها عندَ اللهِ رُتَباً، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ومولانا محمَّداً عبـدُه ورسـولـهُ، أرسلَهُ مِن أكـرمِ النَّاسِ نَسباً، وأَطيبِهِم حَسَباً، وأَحسَنِهم خَلْقاً وخُلُقاً وأَدَباً، صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ ما أثارَتِ الريحُ سُحُباً، وأَنارتِ الغياهِبُ[3] نجوماً وشُهُباً.

وبعد:

فإنِّي نظرتُ بعينِ اليَقينِ دائرةَ السعادةِ والشَّقاوةِ تدورُ على خُطَّةِ الأمرِ ومـراكـزِ الإرادةِ، وبينَهما تدقيقٌ يَدِقُّ عنِ التحقيقِ، ومضيقٌ يفتقِرُ سالكُهُ إلى رفيقٍ للتـوفيقِ، فالأمْـرُ يَهِبُ، والإرادةُ تَنْهَبُ، فمـا وهَبَهُ الأمرُ نَهَبَتْهُ الإرداة.

الأمر يقولُ: افعلْ.

والإرادةُ تقول: لا تفعلْ.

والفعَّال لما يريدُ ﴿**لا يُسأَلُ عمَّا يفْعَلُ**﴾ [الأنبياء: ٢٣].

---

(١) سجود الملائكة لآدم سجود تكريم لا سجود عقاب.

(٢) حاجة.

(٣) جمع غيهب، وهو الظلمة.

فقومٌ عَلِقوا[1] بالأمرِ؛ فضَلُّوا[2].

وقومٌ عَلِقوا بالإرادةِ؛ فزَلُّوا[3].

وقومٌ جمَعوا بينَ الأمرِ والإرادةِ، فهُدوا إلى الصراطِ المستقيمِ، فاسْتَقَلُّوا[4].

فأمَّا الذينَ تمسَّكوا بالأمرِ؛ أَضافوا الفعلَ إلى أنْفُسِهِم تقديراً وفِعلاً، وقالوا: إنَّ اللهَ لمْ يَخْلُقِ الشرَّ، ولم يُقَدِّرْهُ، ولمْ يُرِدْهُ، وإنَّما هو مِن خَلْقِ أنفُسِنا، وفعلِها، ليس للهِ فيه إرادةٌ. وزَعَموا - بجهْلِهِم - أنَّ ذٰلك تَنزيهٌ[5] للباري - سُبحانه وتعالى - عن الرذائلِ والقبائحِ، وأنْ يجعَلَها لعبدِه، ويُقَدِّرَها عليهِ؛ فعَموا بما زَعَموا، وضَلُّوا من حيث نَزَّهوا؛ فأشْرَكوا باللهِ إذْ شارَكوا اللهَ في فعلِهِ وخلقِهِ وتقديرِهِ، ولَزِمَهُم في اعتقادِهم أنْ يكونَ عاجِزاً في حُكْمِهِ وقضائِهِ عن كثيرٍ من خَلْقِهِ؛ لأنَّ المعصيةَ أكثرُ مِن الطاعَةِ، والشَّرَّ أعمُّ مِن الخيرِ، والكفرَ أعمُّ مِن الإيمانِ، فإذا اعتقدْتَ أنَّ اللهَ لمْ يُرِدْ ذٰلك

(١) أي: نشبوا وتمسكوا.

(٢) وهم القَدَرية.

(٣) وهم الجبرية.

(٤) أي: ساووا بينهما كما سيذكره صريحاً، ويقصد الأشاعرة، والأمر ليس كذٰلك؛ فإنهم كانوا ظلاً للجبرية، ولكن بلبوس جديد، وزخرف غير سديد.

(٥) في الأصل: «تنزيهاً»، والصواب ما أثبتُّه.

الـشَّــرَّ، وأنـتَ قدَّرتَــــه[1] على نفسِــكَ، ثمَّ وجــدتَ مرادَكَ دونَ مُرادِ اللهِ ـ تعـالى ـ فإرادتُـك إذاً غالبـةٌ لإرادتِه، فقد غَلَبْتَهُ في حُكْمِهِ، وقهرتَهُ في ملكِـهِ، ومحـوْتَ إرادتَـه، وأثبتَّ أرادتَـك، وكانَ الذي تُريدُ لا الذي يُريدُ، وهٰــذا واللهِ قبيــحٌ، بعيــدٌ مِن مخلوقٍ مرزوقٍ، فكيفَ يَليقُ بمَن لهُ الخلقُ والأمْرُ، ومَن قولُهُ الحقُّ: ﴿واللهُ خَلَقَكُم وما تَعْمَلونَ﴾ [الصافات: ٩٦]؟!

ثم لا يخلو ـ سبحانه وتعالى ـ إمَّا أَن يكونَ قبلَ وقوعِك في المعصيةِ عالماً بما يكونُ منكَ أَم لا.

فإن قلتَ: إنَّهُ غيرُ عالمٍ؛ فقد كفرتَ إجماعاً.

وإنْ قلتَ: إنَّه عالمٌ بمعصِيَتِكَ قبلَ وقوعِها؛ فلا يخلو: إما أنْ يكونَ قادراً على منعكَ منها، ودَفْعِها عنكَ، أم لا.

وإنْ قلتَ: إنَّه غيرُ قادرٍ على منعِك عنها، ودفعِها عنك؛ فقد كفرْتَ إجماعاً.

وإنْ قلتَ: إنَّــهُ قادرٌ على منعِهــا، ثم لم يَمْنَعْكَ عنها، ولا هُويُريدُها على زعمـكَ؛ فقـد أَكـذبتَ نفسَــكَ، وأَبطلْتَ مذهَبَكَ؛ فثَبَتَ حينئذٍ أنه هو الذي قدَّرها عليكَ قبل كونِك، وأَرادها لك، وأَرادها منكَ[2]؛ بدليلِ قولِه

---

(١) في الأصل: «قدَّرتها»، والصواب ما أثبتُّه.

(٢) لم يفـرِّق الأشـاعـرة بين الإرادة الكـونيـة والشـرعية، ولذٰلك زعموا أن الله يحب المعاصي ويرضاها؛ لأنه شاءها، وبذٰلك قالوا: الإرادة والمشيئة بمعنى واحد.

تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شيءٍ خَلَقْناهُ بقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وأمَّا الذينَ تمسَّكوا بالإرادةِ، وهي المشيئةُ[١]؛ حالوا قبلَهم[٢]، وعملهم في الخالقيَّةِ، وقطعوا نِطاقَ العبوديَّةِ، وبَروا مِن أعمالِهِم، وقالوا: نحنُ مجبورونَ بحكمَتِهِ، مَقهورونَ بمشيئتِهِ، فلو شاءَ؛ لَهدانا، فنحنُ مُستَعْمَلون فيما قدَّرَهُ علينا، وقضاهُ فينا، فنحنُ في قبضةِ قهْرِهِ، لا يتوجَّهُ[٣] علينا مجدُ أمرِهِ، فلزِمَهُم في اعتقادِهِم إبطالُ الأمْرِ والنَّهْيِ، فلأيِّ معنى إنزالُ الكُتُبِ، وإرسالُ الرُّسُلِ؟! فإنَّ الله ـ تعالى ـ أنزَلَ الكتُبَ مشحونَةً بالأمرِ والنهيِ، وبيَّنَ الأحكامَ، وميَّزَ الحلالَ مِن الحرامِ، واستعبدَ اللهُ ـ تعالى ـ عبادَهُ بالأمرِ والنهيِ، لا بالقضاءِ والقدَرِ، فأرسَلَ الرُّسُلَ دعاةً إلى اللهِ، أدِلَّاءَ في طريقِ الشرائعِ، أعلاماً على مَحجَّةِ الدينِ، قائمينَ بالحُدودِ.

قال الله تعالى: ﴿وما كُنَّا مُعَذِّبينَ حَتَّى نَبْعَثَ رسولاً . وإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قريةً أَمَرنا مُتْرَفيها ففَسَقوا فيها﴾ [الإسراء: ١٥ ـ ١٦].

أي: خرجوا عمَّا أَمرناهم به، ونَهَيْناهم عنه.

﴿فَحقَّ عليها القوْلُ﴾.

---

(١) وهذا منشأ الانحراف، وانظر للرد على هذه المزلة المضلة: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٢٤٩ وما بعدها)، و«مجموع الفتاوى» (٣٦ / ١٤٧).

(٢) تغيروا إلى اعوجاج من قبل.

(٣) في الأصل: «تتوجَّه»، والصواب ما أثبتُّه.

أي: وَجَبَ العذابُ.

﴿فدَمَّرْناها تَدْميراً﴾ [الإسراء: ١٦].

فجَعَلَ الأمرَ والنهيَ حجَّةً على العبادِ؛ ﴿لِئلَّا يَكونَ للنَّاسِ على اللهِ حُجَّةٌ بعدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

فمَن تمسَّكَ بالمشيئةِ، ولم ينْظُرْ إلى الأمْرِ؛ فقدْ قطعَ نِطاقَ العُبودِيَّةِ، وأبطلَ حُجَّةَ اللهِ على خَلْقِهِ، فللهِ الحُجَّةُ البالغةُ بالأمْرِ، والنَّهْيِ، وإنزالِ الكُتُبِ، وإرسالِ الرُّسُلِ؛ ﴿فلَوْ شاءَ اللهُ لَهَداكُم﴾ بالمشيئةِ ﴿أَجْمَعينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

أشارَ سبحانَه وتعالى في هٰذهِ الآيةِ إلى حكمِ الأمْرِ والنَّهْيِ والمشيئةِ؛ تَنْبيهاً لكَ على التَّمَسُّكِ بطَرَفي الأمرِ والإرادةِ.

أما الأمرُ؛ فقدْ جَعَلَ لك نوعَ فعلٍ، وأضافَهُ إليكَ إضافةً كسبيَّةً وسببِيَّةً، لا إضافةً خَلْقِيَّة، فإنَّ الشيءَ يُضافُ إلى السَّببِ؛ بدليلِ قوله تعالى مُخبراً عن الأصنامِ: ﴿رَبِّ إنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثيراً مِن النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، مع أنَّهُنَّ أحجارٌ لا يسمَعْنَ ولا يُبْصِرْنَ، فلما كانَ ذٰلك سبباً للإضلالِ؛ أضافَهُ إليهنَّ، وما مِثالُ العملِ بالمشيئةِ إلا مثالُ حملٍ ثقيلٍ بينَ يدي رَجُلينِ:

أحدهُما قادرٌ على حملهِ ونقلِه.

والآخَرُ عاجِزٌ عن نقلِهِ.

فَرفعـاهُ جَميعـاً، واشْتَركا في نقلِهِ، فهو إِنَّما يُضافُ في الحقيقةِ[1] إِلى القـويِّ القـادرِ عليـهِ، وإِنَّمـا لذلـك العـاجز نوعُ اشتراكٍ معهُ في نقلِه؛ مجازاً لا حقيقةً[2].

والحقُّ ـ سبحانه وتعالى ـ أثبتَ لكَ فعلاً؛ لتَتَوجَّهَ حُجَّةُ الأمْرِ والنهيِ عليـكَ، وجَعَـلَ الإِرادَةَ والمشيئـةَ إِليهِ، والهِداية والضَّلالةَ لديهِ، فهَدى مَن شاءَ، وضَلَّ مَن شاء: ﴿لا يُسْأَلُ عمَّا يَفْعَلُ وهُم يُسْأَلونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فأنتَ مستَعْمَلٌ بالاختِيارِ؛ ﴿ورَبُّكَ يخْلُقُ ما يَشاءُ ويَخْتارُ ما كانَ لهُم الخِيَرَةُ سُبْحانَ اللهِ وتعالى عمَّا يُشْرِكونَ﴾ [القصص: ٦٨].

ثم اعلم أنَّ هٰذه المسألـةَ المُعضِلَةَ المُشْكِلَةَ هيَ أصـلُ منشأ الهـدى والضَّـلالـةِ، وطـريقُ العلمِ والجَهـالَةِ، ولقد تَورَّطَ في تَحقيقِها كثيرٌ مِن زُمَرِ الجُهَّـالِ، وعَمِيَ عن طريقِهـا أُمَمٌ مِن الضُّـلَّالِ، فكـانَ أَوَّلَ مَن زَلِقَ في مزالِقِها إِبليسُ اللعينُ، لمَّا هوى هُوَّةَ المخالَفةِ؛ ظنَّ أنَّ اعتمادَهُ على عُكَّازَةِ المشيئَةِ تُنْجيهِ، فقال:

﴿بِما أَغْوَيْتَني﴾ [الحجر: ٣٩].

ثم أَلقى عُكَّازَةَ المشيئةِ، وتعَلَّقَ بحبالِ الأمْرِ، فقالَ:

---

(١) في الأصل: «إلا إلى»، والصواب حذف «إلا».

(٢) هٰذا المثـل ذكـره البغـدادي عن بعض أصحـابهم الأشـاعـرة لتـوضيـح مسألـة الكسب، وقد سبق الإشارة إلى ذٰلك، وبيان خطله، فلينظر (ص ٢٠).

﴿لأزَيِّنَنَّ لهُم في الأرْضِ ولأغْوِيَنَّهُم أجْمَعينَ﴾ [الحجر: ٣٩].

ففي الأوَّلِ قطعَ رِبْقَ العبوديَّةِ بإحالتِهِ عن المشيئةِ، فسنَّ مذهَبَ الجبريَّةِ، وعَمِيَ عن الطريقِ القويمِ، والصِّراطِ المستقيمِ، وهُو التمسُّكُ بطرفيِ الأمْرِ والإرادةِ؛ كما فعَلَ آدمُ: ﴿قالَ رَبَّنا ظَلَمْنا أنْفُسَنَا وإنْ لَمْ تَغْفِرْ لنا وتَرْحَمْنا لنَكونَنَّ مِن الخاسِرينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

فلما كانَ إبليس أوَّلَ مَن أَيسَ مِن رحمةِ اللهِ، ولبَّسَ على عِبادِ اللهِ، ودنَّسَ الطريقَ إلى اللهِ بمعصيَةِ اللهِ؛ أَحببْتُ أَن أُوقِفَهُ موقِفَ الجِدالِ، وأُناقِشَهُ بلسانِ الحالِ الذي لا يُدَنِّسُهُ محالٌ، فأُناظِرَهُ بلسانِ الشَّريعةِ؛ لسدِّ الذَّريعَةِ، ثمَّ أناضِلَهُ بلسانِ الحقيقةِ(١)؛ لسُلوكِ الطريقةِ، فإذا أَفلَسَ، ومِن الخيرِ أَبْلَسَ؛ علِمَ مُتابِعوهُ ومُبايِعوهُ أنَّ حُجَّتَه الزائغةُ، ومَحَجَّتَهُ الزَّائفةُ، فيجْتَنِبُهُ مَن يَجْري مجراهُ، ويَسْري مَسراهُ، وهُو الذي أَرَدْناهُ لمَّا وَضَعْناهُ.

فإنَّ إبليسَ وإنْ كانَ قد نَفَذَ حكمُ اللهِ فيهِ، وجَرى عليهِ قلمُ الشَّقاوَةِ ببُعدِهِ مِن اللهِ، لكنَّ شياطينَ الإنسِ، وأَبالسةَ الجنسِ، أشدُّ بأساً، وأصعَبُ مِراساً، وأَقوى وَسواساً مِن وَساوسِ إبليس، وأَشدُّ مِنهُ في

---

(١) الشريعة والحقيقة اصطلاح صوفي ليحولوا بين الناس وعلماء الشريعة، وادعاء علم لم يبلغه علماء الشريعة وهو المسمى العلم اللدني.

وما أشبه اليوم بالبارحة، فقد خرج علينا أرباب التعصب الحزبي بمصطلحات ملؤوا بها كتب الدعوة إلى الله، مثل: فقه الحركة، علماء الحركة، علماء الواقع، التنظير الحركي، ومرادهم عزل الأمة عن علماء الكتاب والسنة وحملة الوحيين؛ لنعيش في دوامة إلهاماتهم وتصوراتهم ونظراتهم التي لا قوائم لها، فلا يبقى إلا التسليم، والله بكل شيءٍ عليمٌ.

التَّلبيس ، ولذلك بَدَأَ الله بذكْرِهِم ، وحذَّرَ مِن أمْرهم ، فقال تعالى :

﴿وكذلكَ جَعَلْنا لكُلِّ نَبيٍّ عَدُوًّا شَياطينَ الإنسِ والجِنِّ﴾ [الأنعام : ١١٢].

فالنفسُ إلى شياطينِ الإنسِ أَمْيَلُ[١]، وهو عليها أقوى وأَحْيَلُ، فهُم حُلَفاءُ الشيطانِ، وخُلَفاؤه، وأَولياؤُه، وأُلفاؤُه، وقدْ وَضَعْتُ كِتابي هٰذا لتمزيقِ شملِ الفريقينِ، وتفريقِ ما بينَ الفِرقتينِ، وسمَّيْتُهُ: «تَفْليسَ إبليس» ؛ ليكْشِفَ للناظرِ فيهِ تلبيسَ إبليس، فيميِّزَ بينَ الخَسيس والنَّفيسِ .

فإنِّي لما اطَّلَعْتُ على كتاب «تَلبيسِ إبليس»[٢]؛ رأيتُه بئسَ الجليسُ، قائدُ يشتَمِلُ على تنقيصِ أولياءِ اللهِ، والقدحِ في عُلُوِّ مراتِبِهم، وزكِيِّ مناصِبِهم، وإيهامِ أنَّ الشيطانَ تسلَّطَ عليهِم إغواءً وإضلالاً[٣]، والله

---

(١) وذلك بسبب التجانس.

قال العلامة ابن قيم الجوزية في «إغاثة اللهفان» (١ / ٢٢٥):

«ولكن كل امرىء يصبو إلى ما يناسبه، ويميل إلى ما يشاكله، والجنسية علة الضم قدراً وشرعاً، والمشاركة سبب الميل عقلاً وطبعاً».

(٢) للعلامة جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧هـ ـ رحمه الله ـ وكتابه مطبوع متداول، وهو جامع مانع ماتع، إلا أنه لا يخلو من العوارض التي تعتري الضعف البشري، ويقوم على انتقاء فوائده، واقتناص شوارده، أخي في الله علي حسن عبدالحميد في «المنتقى النفيس من تلبيس إبليس»، وستقوم مكتبة ابن الجوزي بنشره ـ إن شاء الله.

(٣) وكأن المصنف يريد المتصوفة، فقد بيَّن ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ (ص ١٦٠ ـ ٣٨٧) خطوات الشيطان التي خدعهم بها، وسيرهم على أثرها. =

تعالى يقول:

﴿إِنَّ عِبادي ليسَ لَكَ عليهِمْ سُلْطانٌ﴾ [الإسراء: ٦٥].

فليتَ الواقعَ فيهم، والناقدَ عليهِم، تأدَّبَ معهُم بما تأَدَّبَ بهِ إبليسُ معهُم، حيثُ قال:

﴿فبِعِزَّتِكَ لأغْوِيَنَّهُم أَجْمَعينَ . إلا عِبادَكَ منهُم المُخْلَصينَ﴾ [ص: ٨٢ - ٨٣].

علِمَ أَنَّ لله تعالى خُلَصاءَ لا يَخْلُصُ إليهِم، وأَصفياءَ لا يَصِلُ إليهِم، وعِباداً لا يتسلَّطُ عليهِم، وهو أقلُّ مِقداراً، وأَذَلُّ اقتِداراً، وأَخْفَضُ مَناراً أَن يجولَ في مَجالِ الرِّجالِ، ويصولَ[1] في ميدانِ الأبطالِ، وإِنَّما جُعِلَتِ النساءُ حَبائِلَهُ، والوَساوِس[2] وسائِلَهُ، والأماني دَلائِلَهُ[3]، فلا يقعُ في حبائِلِهِ؛ إلا ذو عقلٍ ضَعيفٍ، ورأيٍ سخيفٍ، وحالٍ كَثيفٍ.

= والمصنف عنده نوع تصوُّف، فهاله أن يذكر ابن الجوزي هٰذه الأمور، فصنف كتابه هذا معارضاً لابن الجوزي، ولذٰلك وصفه ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٣ / ٢٨٩) بأنه: «الذي نسج على منوال ابن الجوزي وأمثاله».

(١) في الأصل: «يطول»، والصواب ما أثبتُّه.

(٢) في الأصل: «الوسايس»، والصواب ما أثبتُّه.

والوسوسة: حديث النفس، والأفكار، ومصدرها الشيطان.

(٣) وانظر فصل: (وسائل الشيطان) في كتابي «مقامع الشيطان» (ص ١٩ - ٢٨)، نشرته مكتبة ابن الجوزي.

وقدْ وَصَفَ الله تعالى ضَعْفَ كَيْدِهِ، ووهَنَ أَيْده، فقال تعالى:

﴿إنَّ كَيْدَ الشَّيطانِ كانَ ضَعيفاً﴾ [النساء: ٧٦].

ولقدْ أوْقَفْتُه موقفَ الجِدالِ، ونازَلْتُه في مَعْرَكِ النِّزالِ، فجعلَ يجولُ وأَجولُ، ويَقولُ وأَقولُ، لكنَّهُ أَسَّس بُنيانَهُ على أَساسِ الوَسْواسِ، وأَسَّسْتُ بُنياني على قواعِدِ ﴿قُلْ أعوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١].

فجَعَلَ يُعامِلُني معامَلَةَ الطالِبِ، ويُراوِغُني مراوَغَةَ الهارِبِ، ويُغالِطُني مُغالطةَ الكاذِبِ، وكُلَّما زاوَيْتُه إلى زاويةِ الأمرِ؛ فرَكَ بي إلى ناحِيَةِ الإرادةِ، وكُلَّما جَرَيْتُه إلى طريقِ الشريعةِ؛ مَرَقَ إلى مَضيقِ الحقيقةِ(١).

فقلتُ: يا لعينُ! أَسأَلُكَ سبيلَ العدلِ في الجِدالِ، والإِنصافَ في السُّؤالِ.

فقالَ: هاتِ ما عندَكَ.

فقلتُ: أَنتَ الذي خَلَقَكَ الله بيدِ قُدرتِه(٢)، وأَطلعَكَ على بدائعِ صنعَتِهِ، ودَعاكَ إلى حضرةِ قُربِهِ، وأَلبسكَ خُلَعَ توحيدِهِ، وتَوَّجَكَ بتاجِ تقديسهِ وتحميدِهِ، وجعلَكَ تجولُ في مجالِ مَلائكَتِهِ، يقتَبِسونَ مِن نورِكَ، ويستأْنِسونَ بحُضورِكَ، ويهتدونَ بعلمِكَ، ويقتَدونَ بعَمَلِكَ، فما بَرِحْتَ

---

(١) انظر فصل: «خطوات الشيطان» في كتابي السابق (ص ٩ - ١٨).

(٢) ظاهر عبارة المصنف يشير إلى تأويل اليد بالقدرة، وهو باطل من وجوه تجدها في كتب عقيدة أهل السنة والجماعة.

في الـملأ الأعـلى إلا عُلا، تشْـرَبُ بالـكـأْسِ الأمْلى، وتَلَذُّ بالخِطـابِ الأحْلى، طالَما كنتَ للملائِكَةِ مُعَلِّماً(1)، وعلى الملائِكَةِ الكَروبيِّينَ

(1) إبليس ليس من الملائكة، والبراهين على ذلك كثيرة، منها:

أولاً: لقد خلق الله الملائكة من نور، وخلق إبليس من نار.

قال الله تعالى مخبراً عن الشيطان:

﴿**قالَ أَنا خَيْرٌ منهُ خَلَقْتَني مِن نارٍ وخَلَقْتَهُ مِن طينٍ**﴾ [الأعراف: ١٢].

وقال رسول الله ﷺ:

«خلقت الملائكة من نور، وخلق إبليس من نار السموم، وخلق آدم ـ عليه السلام ـ مما قد وصف لكم».

أخرجه مسلم.

ثانياً: لقد فطر الله الملائكة على الطاعة، فهم لا يعصون الله أبداً، بينما إبليس كان أول العاصين، ولذلك عندما تلقت الملائكة الأمر بالسجود لآدم لم يتخلف منهم أحدُ إلا إبليس أبى واستكبر؛ قال تعالى:

﴿**فَسَجَدَ الملائِكَةُ كُلُّهُم أَجْمَعونَ . إلا إبليسَ أَبى أَن يكونَ مِن الساجِدينَ**﴾ [الحجر: ٣٠ ـ ٣١].

ثالثاً: لقد أخبر الله أن إبليس من الجن، فقال تبارك وتعالى:

﴿**إلا إبْليسَ كانَ مِن الجِنِّ ففَسَقَ عنْ أَمْرِ ربِّهِ**﴾. [الكهف: ٥٠].

رابعاً: لقد أخبر الله أن إبليس له ذرية، والملائكة ليسوا كذلك، قال تعالى:

﴿**أَفَتَتَّخِذونَهُ وذُرِّيَّتَهُ أَولياءَ مِن دوني وهُم لكُم عَدُوٌّ بئسَ للظالِمينَ بدَلاً**﴾ [الكهف: ٥٠].

فإن قيل: كيف استثنى الله جل جلاله إبليس من الملائكة وهو ليس منهم؟!

قلتُ: الاستثناء منقطع، فصح استثناؤه وهو ليس منهم، ولكن لا يكون الاستثناء منقطعاً؛ إلا إذا كان للمستثنى علاقة بالمستثنى منه، وعلاقة إبليس بالملائكة أنه كان يعبد =

مُقَدَّماً[1].

فما بَرِحْتَ في صومَعَةِ تعبُّدِكَ، وقلابةِ تهَجُّدِكَ، حتى خَلَقَ الله تعالى آدمَ ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ كما أرادَ؛ لما أرادَ، واستَخْلَفَهُ على العبادِ، وجَعَلَهُ حُجَّةً على أهلِ العِنادِ، فنظرْتَ إليهِ بعينِ الاحتقارِ، وإلى نفسكَ بعينِ الافتِخارِ، رأيتَ خَلْقَهُ مِن صلْصالٍ كالفخَّارِ، وخَلْقَكَ مِن مارجٍ مِن نارٍ، فكانَ أوَّلَ جهْلِكَ بنفسِكَ أنَّك ظننتَ أنَّ جوهَرَ النارِ أفضَلُ مِن جوهَرِ الماءِ والطينِ، وما علمتَ أنَّ كلَّ ما يُلقى إلى جَوْهَرِ النارِ؛ يتَلاشى، ويضمَحِلُّ، ويَتَمَزَّقُ، ويتَفَرَّقُ، ويصيرُ إلى لا شيءٍ[2]، وكُلَّ ما[3] أُلقِيَ إلى جوهَرِ الماءِ والطينِ؛ يَزيدُ ويَرْبو، ويَنْبُتُ ويَنْمو، ويعلو ويَسمو. فأيُّ الجوهَرَيْنِ أزكى وأطهَرُ، وأبهى للناسِ وأبهرُ، وأشرفُ في القياسِ وأشهَرُ؟!

= الله معهم، فلحقه الأمر بالسجود، وهو ليس منهم، وبذلك يتضح أمر آخر، وهو: كيف دخل إبليس في الأمر بالسجود وهو ليس من الملائكة، بينما الأمر بالسجود خوطبت به الملائكة؟!

والمقام ليس للتفصيل، وإلا لجئنا بالمزيد المفيد.

(١) الكروبيون أو الأكربيون هم سادة الملائكة، أو المقربون، حملة العرش.

قلتُ: والأحاديث الواردة في هذه التسمية لا تصح، ومنها:

«إن لله ملائكة، وهم الكروبيون، من شحمة أذن أحدهم إلى ترقوته مسيرة سبع مئة عام للطائر السريع في انحطاطه».

وهو ضعيف جداً؛ كما بينه شيخنا ـ حفظه الله ـ في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٩٢٣).

(٢) في الأصل: «لا إلى شيء»، والصواب ما أثبتُّه.

(٣) في الأصل: «كلَّما»، والصواب ما أثبتُّه.

ثم لو عرفْتَ قدْرَكَ مِن قَدْرِه؛ لما عَدَلْتَ عن أمْرِهِ ونَهْيِهِ، ولا تعرضْتَ لكَشْفِ مَكنونِ سرِّهِ، فإِنَّهُ استعبدَ خَلْقَهُ بالأمْرِ لا بالقَدَرِ، فقالَ تعالى:

﴿يا أَيُّها النَّاسُ اعْبُدوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١].

وقال للملائكةِ:

﴿اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ [البقرة: ٣٤].

فعـدلتَ عنِ الأمْـرِ إلى معـارَضَـةِ الأمْـرِ، فخَـرَّبْتَ ما كانَ عامراً[١]، وأَفسَـدْتَ الأوَّلَ بالآخِـرِ، فمـا جزاءُ مَن تجـاوَزَ حدودَ عبودِيَّتِهِ، وتعدَّى طورَ مخلوقيَّتِهِ؛ إلَّا أَنْ يزدادَ مِن ربِّهِ بُعداً، وأَعَدَّ له مِن العذابِ مدًّا!

فتَنَفَّسَ هُنالكَ تَنَفُّسَ الهالكِ، وقال:

يا آدميُّ! الكـونُ[٢] قد كانَ ذٰلـك، ولكنِ اسمَـع قصـةً غُصَّةً، تمزِّقُ القلوبَ قلقاً، وتُفَتِّتُ الأكبادَ حَرَقاً، مِن مثلِها هَلَك فِرعونُ غَرَقاً، ومِن خوفِها خَرَّ موسى صَعِقاً.

يا آدميُّ! الكونُ خالقُ الأشياءِ[٣]، خَلَقَني كما شاءَ، وأَوْجَدَني لما شاءَ، واستَعْمَلَني فيما شاءَ، وقدَّرَ عليَّ ما شاءَ، فلم أُطِـق[٤] أَنْ أَشاءَ إلا ما

---

(١) في الأصل: «عامر»، والصواب ما أثبتُّه.

(٢) الكون في المصطلح الصوفي كل أمر وجودي خلاف الباطل.

انظر «دستور الولاية»؛ لمحمد هاشم البغدادي (١ / ٣٦).

(٣) كذا في الأصل، وفيه خلل ونقص، والصواب: رب الكون خالق الأشياء.

(٤) في الأصل: «أطيق»، والصواب ما أثبتُّه.

شاءَ، فما تجاوَزْتُ ما شاءَ، وما فعَلْتُ غيرَ ما شاءَ، ولو شاءَ لردَّني إلى ما شاءَ، وهَداني لما شاءَ، ولكنَّه شاءَ، فكنتُ كما شاءَ: ﴿**ولَوْ شاءَ ربُّكَ لآمَنَ مَن في الأرْضِ كلُّهُم جَميعاً**﴾ [يونس: ٩٩].

يا هٰــذا! سبقَ لي قبلَ كونِ الأكْوانِ، وكانَ مِن الكافرينَ ما كانَ، فما برحْتُ في الأزَلِ كافراً[١] ولم أزَلْ، فإذا كافُ كُفْـري سبقَ كافَ كَوني، فمَن يكُنْ على القضاءِ عَوْني؟! ومَن يُطِقْ مِن القدَرِ صَوْني؟! ولكنَّ كلَّ ما يُرضيهِ منِّي رضيتُ بهِ على رأسي وعيني.

يا هٰذا! ما حيلةُ مَن ناصيتُـهُ في قبضـةِ القهْـرِ، وقلبُهُ بيدِ القَدَرِ، وأمرُهُ راجعٌ إلى حُكمِ القِدَمِ، وقدْ قُضِيَ الأمرُ وجفَّ القلمُ[٢].

شعرٌ في المَعْنى:

ساقـي الـمَشيئَـةِ قَدْ سَقَى　　كَأْسَ الـسَّـعـادَةِ والشَّقـا
وأدارَهــا مِن حيــثُ شا　　ءَ على الـخَـليقَــةِ مُطْلَقـا
فلِكُــلِّ عبــدٍ قَدْرُ ما　　مِن ذَوْقِــهـا قَدْ ذُوِّقـا
وزِمــامُــهـا بيــدِ الــذي　　لِكُــؤوسِــهـا قَدْ رَوَّقـا
فإذا أرادَ لعــاشِــقٍ　　فيــهـا بِطيـبِ الـمُـلْتَقى

(١) في الأصل: «كافر»، والصواب ما أثبتُّه.

(٢) انظر «الاحتجاج بالقدر» لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبع المكتب الإسلامي.

أَبْـدى لهُ مِن سِرِّهـا في الـسِّـرِّ نوراً مُشْـرِقـا
فَرَأى الـسُّـلوكَ لِحـانِـهـا أَغْـلى وأَعْـلى مُرْتَـقـى
فأَتَـى كَمـا يأْتي الـفَـقـيـ ـرُ مِن التَّـذَلُّـلِ مُطْـرِقا
فجـاءَهُ لمَّـا[1] وَقـا هُ مِن الـقطيْعَـةِ بالـوَقـا
وحَـبـاهُ لَمَّـا[2] سقـا هُ بِكَـأْسِـهـا مُتَـدَفِّـقـا
وأَراهُ حُسْـنـاً لُطْـفُـهُ أَلْـجـاهُ أَنْ يَتَـعَـشَّـقـا
ولَـكَـمْ بِذيَّـاكَ الـجَـنَـا بِ فَتَـىً غَدا مُتَـمَـزِّقـا
بادِي الـهُـزالِ ولا يَزا لُ عَنِ الـوِصـالِ مُعَـوَّقـا
قَطَـعَ الهَـوى شَوْقـاً إليْـ ـهِ وعُـمْـرَهُ قَدْ أَنْـفَـقـا
يَبْـكي إذا بَرِقَ الـحِـمَـى وَهَـنـاً سَرَى مُتَـأَلِّـقـا
يَفْـنَـى الـزَّمـانُ ودَمْـعُـهُ في الـحُـبِّ يَوْمـاً ما رَقـى
إنْ ماتَ دونَ وِصـالِـكُـمْ فلَكُـمْ بهِ طولُ الـبَـقـا

يا هٰذا! سبقَ القدرُ بتصويرِ البشرِ، ثم استُحْضِرَ إلى حضرةِ الغرر فحضَرَ، وكشف لهُ عن مصوِّرِ ذٰلك الجمالِ فنظَرَ، فوقَعْتُ مِن الغيرةِ في غِيَر، فإذا نزَلَ القضاءُ؛ عَمِيَ البصرُ، فاسْتَحْفَرْتُ لآدمَ بئراً، فأَبى اللهُ أَنْ يوقِعَ في البئرِ إلا مَن حفَرَ، فالسعيدُ مَن بغيرِهِ اعْتَبَرَ، والشَّقِيُّ مَن أُمِرَ فما ائْتَمَرَ، ودُعِيَ للطَّاعةِ فأَبى واستكبَرَ.

---

(١) في الأصل: «لما أن وقاه»، والصواب ما أثبتُّه ليستوي الوزن.
(٢) في الأصل: «لما سقاه»، والصواب ما أثبتُّه ليستوي الوزن.

هٰذه حالتي، فمَن يُنْكِرُها؛ جَهِلَ المَعنى، ومَن يَدْري؛ عَذَر.

يا نشــأَةَ الطينِ! اعْلَمي أَنِّي كنتُ ساكِنَ البــالِ، مستقيمَ الحــالِ، صالِحَ الفِعالِ، لم يَخْطُرِ البشرُ الصَّلصالُ لي على بالٍ، تارةً أَسْتَمْلي أسرارَ كَلِماتِهِ، وتارةً أَسْتَجْلي أنوارَ صِفاتِهِ، وتارةً أَسْتَحْلي أَلحانَ آياتِهِ، والكروبيُّون(١) جُلاَّسي، والمُقَرَّبونَ أهلُ إيناسي، ونُدمانُ الحضرةِ يشربونَ بفَضْلِ كأْسي.

فبينَما نحنُ في حضرةِ الشُّهودِ؛ إذْ أُوتيَ بآدمَ إلى الوجودِ، وأُمِرْتُ له بالسجودِ، فتَداخَلَتْني غَيْرةُ الأغيارِ، وحَيْرَةُ الأفكارِ، فمَنَعَتْني دَعْوى المحبةِ مِن الإقــرارِ، وقلتُ: المحبَّــةُ لا تحمـلُ المـزاحمَـةَ، والمُحِبُّ لا يحتَمِـلُ المشاركَةَ، حينَ سجَدَ للأحدِ، لا يزالُ في الوجودِ لأحدٍ، ولو طرَدَني إلى الأبدِ.

فقالَ لسانُ(٢) الصَّمَدِ: أَتَعْتَرِضُ عليَّ، وتَأْبى أَنْ تَسْجُدَ لما خَلَقْتُه بيديَّ؟!

فهَمَمْتُ بالـرجـوعِ إلى الأمـرِ، فجَـذَبَتْني الإرادةُ لعـدمِ السعـادةِ، وأَلْقتْني على فِراشِ العَناءِ، فقلتُ:

﴿أَنا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ [ص: ٧٦].

---

(١) في الأصل: «الكروبيِّين»، والصواب ما أثبتُّه.

(٢) صفات الله توقيفية، ولم يرد هذا الوصف في شيء منها.

فكـانَتْ هٰذه الجِنـايَةُ الثانِيَةُ أَشدَّ مِن الأولى ؛ لأنِّي في الأولى جَهِلْتُ أمْرَ ربِّي ، وفي الثانيةِ جَهِلْتُ تَدْبيرَ نَفْسي ، ولو عَرَفْتُ مَن أنا ؛ لما قُلتُ : أَنا .

فبافتخاري لُعِنْتُ في الوُجودِ، لا بامْتِناعي مِن السجودِ، أَلا تَراهُ حينَ أَمَرني بالسُّجودِ فأَبَيْتُ؛ عَذَرَني ، وما طَرَدَني ، حتَّى أَنْذَرَني ، فقالَ :

﴿**ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بيَدَيَّ**﴾ [ص: ٧٥]؟

فعَـمـيتُ عنِ الاعتــذارِ، وخَــرِسْتُ عنِ الاستغفــارِ، وركبتُ جوادَ الافتِخارِ، وقلتُ :

﴿**أَنا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتني مِن نارٍ**﴾ [ص: ٧٦].

فلمَّـا عارضتُ الاقتـدارَ، وجَهِلْتُ المقـدارَ، أُخْـرِجْتُ عن الجـوارِ، وطُرِدْتُ مِن الدِّيارِ؛ ﴿**فاخْرُجْ مِنها فإنَّكَ رَجيمٌ**﴾ [ص: ٧٧].

فكانَ الفَخارُ للفَخَّارِ، وكانتِ النَّارُ لمَنِ افْتَخَرَ بالنَّارِ؛ ﴿**لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ منكَ ومِمَّنِ تَبِعَكَ مِنْهُم أَجْمَعينَ**﴾ [ص: ٨٥].

فلَئِنْ كنتُ إبليسَ آدَمَ ، فليتَ شِعْــري مَن كانَ إِبليسي ؟ ! أُلْبِسْتُ مِن أَجـلِ آدمَ ثِيـابَ تَلْبيسي ، وكانَ على يدَيْهِ تَجْريسي ، وبسبَبِهِ كانَ تَفْليسي ، وعليهِ خُلِعَ تسبيحي وتَقْديسي ، ومنذُ رأيْتُهُ هَجَرني جَليسي ، وصَدَّ عني أَنيسي .

شِعْرٌ في المَعْنى :

تَعَــجَّـبَ الـنَّــاسُ مِن حَبـيـبـي   إذ جَعَــلَ الـهَـجْـرَ مِن نَصـيـبي

مِن بعـدِ وَصْلٍ وجمْعِ شمْلٍ أَبْعَدَنـي عنـهُ كالغَريبِ
فكُنْتُ دَهـراً عزيزَ قَوْمٍ فصِرْتُ بالذُّلِّ كالمُريبِ
كَم لَيلَةٍ قد سُقيتُ فيها كأْسَ وِصالٍ بلا دِيبي[1]
ونَحْنُ في حضْرَةٍ شَذاها أزْكَى مِن المَنْدَلِ[2] الرَّطيبي
ومُطْرِبُ الحَيِّ قَدْ تَغَنَّى: يا لَيْلَتي بالوِصالِ طِيْبي
لَمْ أَدْرِ حتَّى رُميتُ منهُ عَمْداً بِسَهْمِ القَضاءِ المُصيبي
فلمْ أَجِدْ قَطُّ لي مُعيناً على الذي بي سِوى نَحيبي
فرُحْتُ أَشْكو إلى الطَّبيبِ ما بي فكانَ سُقْمي مِن الطَّبيبِي
وكُلَّما فاضَ دَمْعُ عَيْني يَزْدادُ ما بي مِن اللَّهيبِ
فقلْتُ يا لَلرِّجالِ هٰذا مُصابُ صَبٍّ فيهِ كِيبي
فاعْتَبِروا بالذي دَهاني فَشَرْحُ حالي مِن العَجيبِ
فكَمْ بهِ مِن لطيفِ مَعنى للفَطِنِ العارِفِ اللَّبيبِ

يا هٰذا! وكُلُّ هٰذا راجِعٌ إلى أَحكامِ المشيئةِ، دائِرٌ في دائِرَةِ الإِرادةِ، عائِدٌ إلى سابِقِ القسمَةِ الأولَوِيَّةِ، لا بسببِ ذِلَّةٍ، ولا لوجودِ عِلَّةٍ، وإلا فقدْ ساوى القَدَرُ بيني وبينَ آدَم في الخَطيئةِ، فسُلِبْتُ دونَهُ العَطِيَّةَ، ورَجَعَ إلى ربِّهِ بنفسٍ راضيةٍ مَرضِيَّةٍ، ورَجَعْتُ بلعْنَةٍ أَبديَّةٍ، وخيبةٍ سَرمدِيَّةٍ.

---

(١) كان وصاله دون واسطة.

(٢) عود الطيب الرطب الذي يُتَبخر به.

أُمِرْتُ بالسُّجودِ، فلمْ أَسْجُدْ، ونُهِيَ آدَمُ عن الشجرةِ، فلمْ يَنْتَهِ.

لكنَّـهُ هَبَّ على شجَـرَةِ جِنايَتِـه نَسماتُ نَفحاتٍ: ﴿**فتَلَقَّى آدَمُ مِن رَبِّهِ كَلِمـاتٍ**﴾ [البقـرة: ٣٧]، فجَعَلَهُنَّ لُقاحاً لشَجَرَةِ جِنايَتِه، فَجَنى مِن شِينِها شِفـاءٍ، ومِن جيمِهـا اجْتُبِيَ، ومِن رائِهـا ارْتقـا، ومِن هائِهـا اهْتَـدى: ﴿**ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فتابَ عليهِ وهَدى**﴾ [طه: ١٢٢].

وأَمَّا أَنا؛ فعَصَفَتْ بي عواصِفُ اللعنَةِ، واخْتَطَفَتْني خواطِفُ الخيبةِ، فَنظَـرْتُ، فإِذا المـلائكَـةُ في حضرةِ الشُّهودِ، سيماهُم في وجوهِهِم مِن أَثَرِ السُّجـودِ، فحَـدَّقْتُ في مِرآةِ عِلْمي وعَمَلي، فرأَيْتُ وجْهي مُنْغَمِسـاً بِسـوادِ شِقْوَتي: ﴿**يُعْرَفُ المُجْرِمونَ بِسيماهُمْ**﴾ [الرحمن: ٤١].

فقلتُ: يا لعينُ! ما لي أَراكَ زائغـاً عن الحُجَّـةِ، زائِفاً عن المَحَجَّةِ، غارِقـاً في وسـطِ اللُّجَّـةِ، لا حُجَّـةَ لك عليـهِ، ولا عُذرَ لكَ لديـهِ؟ فإنَّـكَ لو صَدَقْتَ في دَعْوى محبَّتِك، وحَقَّقْتَ مَعنى معرِفَتِكَ؛ لعَلِمْتَ أَنَّ انقيادَ العبدِ أَلْيَقُ مِن اعتِراضِهِ، والوُقوفَ عندَ الأوامِرِ أَجمَلُ بالمُحِبِّ مِن اعتراضِهِ.

ثمَّ ما كفـاكَ أَنْ خالَفْتَ أَمْـرَهُ، وجَهِلْتَ قدْرَهُ، حتى واجَهْتَـهُ بسـوءِ الأَدَبِ؛ تقولُ:

﴿**رَبِّ بِما أَغْوَيْتَني**﴾ [الحجر: ٣٩].

فتَبَرَّأْتَ مِن ذنبِكَ، وأَحَلْتَهُ على ربِّكَ، فقَطَعْتَ نِطاقَ العُبوديَّةِ، فهلْ رأَيْتَ مُحباً يُحيلُ ذنبَهُ على حَبيبِهِ، ويُضيفُ نقصَهُ إِلى مليكِهِ؟!

فبقَـوْلِـكَ: ﴿رَبِّ بمـا أَغْـوَيْتَني﴾ [الحجـر: ٣٩]؛ كنتَ جَبْرياً[١]، وبقولِكَ: ﴿لأُغْوِيَنَّهُم﴾ [الحجر: ٣٩]؛ كنتَ قدَرِياً[٢].

يا لعينُ! فهـلَّا تأدَّبْتَ بمـا تأدَّبَ بِهِ آدمُ، لمـا رأى سِهامَ المَشيئَةِ وقَلَمَ القضاءَ قدْ أُجْري عليهِ؛ مَسَكَ الحَبْلَ بطَرَفيهِ، فأَضافَ النَّقيصةَ[٣] إلى نفسِهِ لُزوماً لأدَبِ العُبوديَّةِ، وتَعظيماً لجَبَروتِ الرُّبوبيَّةِ، وقالَ:

﴿رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا﴾ [الأعراف: ٢٣].

ثمَّ تمسَّكَ بحبالِ الرَّحمانيةِ المَنوطةِ بعُروةِ المشيئةِ:

﴿وإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لنا وتَرْحَمْنا لنَكونَنَّ مِنَ الخاسِرينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

ومـا[٤] مِثـالُ المعاصي والذُّنوبِ إلا - بالإِضافةِ إلى العبدِ، والإِضافةِ إلى الـرَّبِّ - مثـالَ ساقيـةٍ صغيـرةٍ تَجْـري بأوساخِ الناسِ وأَقذارِهِم، فهِيَ محكـومٌ بنَجاسَتِهـا ما دامَت في حَيِّزِ: ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَـةً وأَحـاطَتْ بِهِ خَطيئَتُهُ﴾ [البقرة: ٨١][٥]، فإذا اتَّصلتْ ببَحْرٍ مُحيطٍ: ﴿قُلْ كُلٌّ مِن عنْدِ اللهِ﴾ [النسـاء: ٧٨]؛ تلاشتْ في شُطـوطِ الأقـدارِ، واضمَحَلَّتْ بالاستغفـارِ في

---

(١) بإسنادك فعله مطلقاً إلى الله، وكأن العبد مجبور على فعله!

(٢) بإسنادك أفعالهم لأنفسهم، وكأنهم خالقون لأفعالهم!

(٣) في الأصل: «النقيصة»، والصواب ما أثبته، والله أعلم.

(٤) في الأصل: «وأما»، والصواب ما أثبته، والله أعلم.

(٥) في الأصل: «إلا من كسب. . . الآية»، والصواب ما أثبته من المصحف.

لُجَجِ بحـارِ ﴿وإنِّي لَغفَّـارٌ﴾ [طـه : ٨٢]، فإذا حُكِمَ بطهارَتِها عندَ حاكِمِ ﴿صُنْـعَ اللهِ الـذي أَتْقَنَ كُلَّ شيءٍ﴾ [النمـل : ٨]؛ صلُحَتْ هنـالـك لقَبولِ ﴿فأولٰئكَ يُبَدِّلُ الله سَيِّئاتِهِم حَسَناتٍ﴾ [الفرقان : ٧٠].

يا شقيُّ! ومعـارضتُـكَ لهُ في الأقـدارِ أشَـدُّ جِنـايةً مِن الإنكارِ، وأَسوأُ حالاً مِن الإصـرارِ والاستكبـارِ؛ لأنَّـكَ لزِمْتَ ما لم يلزَمْ، وادَّعَيْتَ علمَ ما لا تعلَمْ، فإنَّ علمَ الإرادةِ علمٌ عليٌّ، وسرَّ المشيئةِ سرٌّ خَفِيٌّ، لا يُدْرِكُهُ فهمٌ، ولا يُحيطُ بهِ وهمٌ: ﴿ولا يُحيطونَ بِشيءٍ مِن عِلْمِهِ إلا بِما شاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ثمَّ إنَّـكَ حالـةَ الأمْـرِ بالسجودِ لم تكُنْ عالماً بسابقِ مشيئتِهِ فيكَ، ولا عارِفاً بنُفوذِ قضائِهِ عليكَ، فامْتِناعُكَ على تلكَ الحالةِ لم يكُنْ لعِلْمِكَ بعدمِ إرادتِـهِ لسُجـودِكَ، ولا لمعـرِفَتِك بمُرادِ معبودِكَ، وإنَّما كانَ امتناعُكَ لفسادِ اعتقـادِكَ، وسـوءِ انْتِقـادِك، فنظَـرْتَ إلى آدمَ مُحْتَقـراً، ونظـرتَ إلى نفسكَ مفتَخِراً، فخالَفْتَ أَمرَهُ مُتَجبِّراً متكبِّراً، فكانَ طردُكَ وإبعادُكَ لمخالفةِ الأمرِ، لا لِجَرَيانِ حُكْمِهِ عليكَ، ونُفودِ قضائِهِ فيكَ.

فتَنَمَّرَ هنالِكَ تَنمُّرَ الذيبِ، وتغيَّرَ تغيُّرَ المُريبِ، وقال:

رَشَقْتَ بسهْمِـكَ المُصيبِ، فأَصبتَ فؤاداً دَنِفاً[١] كَئيباً[٢]، مُنْتَهباً بيدِ

---

(١) أي: مريضاً.

(٢) في الأصل: «كئيب»، والصواب ما أثبته.

القضاءِ سَليباً[1]، ولكنِ اسمَعْ حديثَ السرِّ العجيبِ، ودقيقةَ المعنى الغَريبِ.

شعر:

صَبٌّ أَصابَتْهُ سِهامُ القَضا
فأَضْرَمَتْ في القَلْبِ نارَ الغَضا
جَرتْ كما شاءَ قلبكَ الهَوى
فضاقَ بالقَلْبِ وَسيعُ الفَضا
أَنْفاسُهُ تَسْري وأَجْفانُهُ
تَجْري إِذا بَرِقَ الحِما والفَضا
يُذَكِّرُهُ بارِقُ إِيماضِهِ
عَيْشاً تَوَلَّى وزَماناً مَضى
يا سادَتي عَطْفاً فقدْ مَرَّ بي
زمانُ وَصْلٍ معَكُمْ وانْقَضا
وإِنَّني عبدٌ وحَقِّ الهَوَى
إِنْ أَقْبَلَ الدَّهرُ وإِنْ أَعْرَضا
يا ضَيْعَةَ العُمُرِ الذي قَدْ غَدا
نَهْبَ يدَيِّ البينِ وما عُوِّضا

---

(١) في الأصل: «سليب»، والصواب ما أثبته.

إلـــى متـــى هَجْــرُكَ يا سيِّـــدي
لمُـــهْـــجَـــةِ الـمُـشـتـــاقِ قدْ أَمْـــرضـــا
انْظُـــرْ إِلـــى قِصَّـــةِ حالـــي عســـى
يُوَقِّـــعُ الـــمَـــرسُـــومُ بالـــمُـــقْـــتَـــضـــا
ويُـــفْـــصَـــلُ الـحُـكْـمُ ويَـجْـــري عليَّ
عَوائِـــدُ الـــعَـــفْـــوِ زَمـــانـــاً مَضَـــى

يا هٰذا! إن كنتَ للمعـاني مُعـاني ؛ فغُصْ في لجَـجِ بِحارِ التَّحقيقِ ، وغُصْ مَعي في مَغـاصِ جواهِـرِ التـدقيق ؛ لتَجْتَمِـعَ في بحـرِ الحقيقـةِ والشـريعَـةِ ؛ لأنَّ مَن شَرَعَ في شريعَـةِ عِشْقِـهِ[1] ، وتحقيق صدْقِـهِ ؛ ساوى بصحيـحِ قصـدهِ بينَ هَجْـرِهِ وصـدِّهِ ، وبينَ قُربـهِ وبُعْدِهِ : ﴿**قُلْ كُلٌّ مِن عِندِ اللهِ**﴾ [النساء : ٧٨] .

يا هٰذا! أتَظُنُّ أحداً في العبادِ أعبدَ مِنِّي ، أو في العرفانِ أَعْرَفَ منِّي ، لا دَعوى أَصدَقُ مِن دَعواي ، ولا معنى أَصَحُّ مِن مَعْناي .

قالَ لي : اسْجُدْ لغَيْري .

قلتُ : لا غيرَ .

قالَ : عليكَ لعْنَتي .

---

(١) اصطلاح صوفي يُراد به حب الله ، وهو تعبير فاسد ؛ إذ إن لفظ العشق في اللغة ربية لا يطلق إلا على ما ينكح!

قلتُ: لا ضيرَ إنْ أَذْنَبْتَني فأنتَ أنتَ.

فقالَ لي: تفعَلُ ذلك استكباراً أَو فخاراً؟

فقلتُ: يا سيِّدي! مَن عرفَكَ في عُمُرِهِ لحظةً، أَو خَلا بكَ في دهرِهِ غَمْضَةً، أَو صَحِبَكَ في طريقِ محبَّتِكَ ساعةً؛ حقَّ له أنْ يَفْتَخِرَ.

كيفَ وقدْ قطعتُ معكَ الأعمارَ، وعمَّرتُ بحبِّكَ الآثارَ؟!

كم قَدْرٍ قمتُ في صحائِفِ توحيدِكَ في الليلِ والنَّهارِ! كم قدْ دَرَسْتُ مِن دروسِ تقديسكَ وعجيبكَ في الإعلانِ والإسرارِ! والآثارُ تشهَدُ لي، والدِّيارُ تعرِفُ بحقِّي، والليلُ والنَّهارُ يصَدِّقُني

فأينَ كانَ آدَمُ وأَنا أَمام صفوفِ الملائكَةِ، وحَظيتُ جميع الكروبيينَ(١)، وقادةَ وفدِ المقرَّبينَ؟ فلي معكَ سابِقُ عبادةٍ، ولكَ معي سابِقُ إرادةٍ، فلمَّا ظهَرَتْ أعلامُ الإرادةِ؛ انطَمَسَتْ رسومُ العِبادَةِ، فأَخْطَأَ المجتهِدُ اجتهادَهُ، وزالَ السيِّدُ عن رُتَبِ السيادةِ، وأَصابَهُ سهمُ القضاءِ، فما أَخطأَ فؤادَهُ، فسواءٌ أَسجُدُ أَو لم أَسجُدْ، وعَبَدْتُ أَم لم أَعبُد، لا بدَّ مِن الرُّجوعِ إلى سابقةِ الأقدارِ، فإنَّكَ خَلَقْتَني مِن نارٍ، فلا بدَّ مِن العودةِ إلى النَّارِ؛ ﴿مِنْها خَلَقْناكُم وفيها نُعيدُكُم﴾ [طه: ٥٥].

يا هٰذا! أتظنُّ أنِّي أخطأتُ التدبيرَ، ورددْتُ التقديرَ، وغَيَّرني التغييرُ؟ لا وعُلوعزَّتِهِ، وسنا قدرَتِه، لكنَّه خَلَقَ الحسنَ والقبيحَ، والمستقيمَ

---

(١) سبقت الإشارة إلى هٰذه التسمية.

والصَّحيحَ، جَمْعاً بينَ الشيءِ وضدِّهِ، ليدُلَّ بهِ على كمالِ قدرتِهِ، فإنَّ الأشياءَ لا تُعرَف إلا بالأضدادِ، فجَعَلَني في الأوَّلِ أُعَلِّمُ المحاسنَ في الملأ الأعلى، فأُبيِّنُها للأملاكِ، وأُزَيِّنُ بها الأفلاكَ، فكنتُ معلِّمَ التوحيدِ، فلما طالعَ أطفالُ الكتبِ أَمثلةَ توحيدِهم، وحقَّقوا حروفَ هجاءِ تقديسِهم وتمجيدِهم؛ نَقَلَني مِن العالمِ الأعلى إلى العالَمِ الأدْنى، أُعَلِّمُهُم ما هو ضدُّ ذلك، فأُبيِّنُ لهُم القبائِحَ، وأُزَيِّنُها لهُم.

فبي عُرِفَ الحسنُ والقبيحُ، ومُيِّزَ المستقيمُ والصَّحيحُ، فأنا في الأرضِ والسَّماءِ عريفُ العُرفاءِ، معلِّمُ العُلَماءِ، فأنا مُعْجِزُ القدرةِ، وعلامَةُ منشورِ الصنعةِ، ومُشاهدُ حضرةِ الحكمةِ، فمَن هو في الحضرةِ أَدنى منِّي؟ ومَن هو في الذِّكْرِ أشهَرُ مِني؟ فلي شَرَفٌ إذ ذَكَرني، وإن كانَ قد لعَنَني، ولي فخرٌ إذْ أَنْظَرَني، وإنْ كان قدْ طَرَدَني.

فبِمَعْرِفتي لهُ أنْكَرَني، ولِحيرَتي فيهِ حيَّرَني، ولغيرَتي عليهِ غيَّرَني، ولِخِدْمتي خَذَلني، ولصُحْبَتي حَرَمني، فلأنَّ وقتي به أَصفى، وِحالي معهُ أَشْقى؛ لأني كنتُ أخدُمُهُ لحَظِّي، والآن أخدُمُه لحظِّهِ، فارتفَعَ الحظُّ مِن البَيْنِ، فأنتَ تظنُّهُ بَيْناً[1]، فلئِنْ كنتُ قد سَقَطْتُ مِن العينِ، فقد وقَعْتُ في عينِ العين[2].

---

(١) في الأصل: «بينٌ»، والصواب ما أثبتُّه.

(٢) اصطلاح صوفي يتمخض عن عقيدة وحدة الوجود الباطلة، ولا شك أن إبليس هو كبيرهم الذي أسس قواعدها، ولبَّس عليهم اعتقادها.

شعر:

على حُبِّكُم أنفَقْتُ شرخَ شَبابي
ومِن أجْلِكُم في الحُبِّ عَزَّ مُصابي

شَرُفتُ بكُم دهراً فلمَّا هَجَرْتُمُ
جَفاني صَديقي فيكُمُ وصحابي

وكانَتْ لِيَ الأكوانُ طوعاً فأصْبَحَتْ
ولا شيءَ إلا مولَعاً بِسِبابي

ظَنَنْتُ بأني آمِنٌ مِن صُدودِكُم
فخَيَّبَني ظَنِّي وسوءُ حِسابي

وما كانَ ذَنْبي في الهَوى غيرَ أنَّني
لغَيْرِكَ ما وَجَّهْتُ وجهَ رِكابي

ولا اسْتَحْسَنَتْ عَيْني جمالاً رأيْتُه
سواكَ ولا مرَّ السُّلُوُّ ببابي

فكمْ بِتُّ والكاساتُ تُجْلى ونَحْنُ في
حضَيْرَةِ قدْسٍ في أعَزِّ جَنابِ

يُنادِمُني سِراً بسرٍّ وطالَ ما
تَجَلَّى على قَلْبي بغَيْرِ حِجابي

إلى أنْ رَماني بالصُّدودِ مُعَذِّبي
فرُحْتُ وقَلبي في أليمِ عَذابي

لكَ الخيـرُ فاسْلَمْ ما استطَعْتَ لمَنْ تَهْوى

وإِيــاكَ عنِّــي لا يُكَـــذِّبْــكَ ما بي

يا هٰذا! ولقد لقيتُ موسى على عقبةِ الطورِ، وهُوبما أُوتي مسرورٌ[1].

فقال: ما منعَكَ مِن السُّجودِ؟

فقلتُ: مَنَعَني الـدَّعـوى بمحبـوبٍ واحـدٍ، ولـو سجـدتُ لآدمَ حينَ أُمِــرْتُ؛ لكُنْتُ مثلَكَ، فإنَّــكَ نوديتَ مرةً واحـــدةً: ﴿انْظُـرْ إلى الجَبَـلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فنظرتَ، وأَنا نوديتُ أَلفَ مرةٍ: اسْجُدْ. فما سجدتُ؛ لِدَعوايَ بمعنايَ.

فقالَ لي: تَرَكْتَ الأمْرَ.

فقُلْتُ: ما أَمَرَني.

فقالَ: أَليسَ قالَ: اسْجُدْ لآدَمَ؟!

فقلتُ: ذاكَ أمرُ ابْتِلاءٍ، لا أمرَ إِرادةٍ، ولو كانَ أَمْرُ إِرادةٍ؛ لَسَجَدْتُ.

فقالَ: لا جَرَمَ غيَّرَ صورَتَك.

فقلتُ: يا موسى! ذاكَ تَلْبيسُ الحـالِ، لا يُعَـوَّلُ عليهِ، فإِنَّهُ يحولُ، ولٰكن المعـرفـةَ صحيحـةٌ لم تتغَيَّر، وإِنْ كانَ الشخصُ قد تَغَيَّرَ، فإِنَّ الصفاءَ باقٍ لم يتكَدَّرْ.

---

(١) هذا اللقاء بين كليم الله وعدو الله لا سبيل لمعرفته إلا بالنقل الصحيح. . . وأين ذٰلك؟

فقالَ لي موسى: هلْ تَذْكُرُهُ الآنَ بعدَما طرَدَكَ وأَبعدَكَ؟

فقلتُ: يا موسى! الذكرُ لا يُذكَرُ وأَنا مذكورٌ إذ يُذكَرُ وأَنا مشهورٌ.

يا موسى! أنـا في الخـدمَـةِ أَقـدمُ، وفي الفضلِ أعظَمُ، وفي العلمِ أعلمُ، وأَنـا أعلَمُهُم بالسُّجـودِ، وأَقـربُهُم إلى الوجودِ، وأَبذلُهُم للمجهودِ، وأَوفـاهُم بالعُهـودِ، وأَدناهُم من المعبودِ، ولكنَّ سيِّدي قالَ: الاختيارُ لي لا لكَ، والاختبارُ لي لا لكَ.

فقلتُ: يا سيـدي! لك الاختيـاراتُ كلُّهـا، فاخْتِيـاري إليـكَ، واختِيـاري بيـدَيْـكَ، فإنْ أَهَنْتَني؛ فأنْتَ الرَّفيعُ، وإنْ مَنَعْتَني عَن السُّجودِ؛ فأنتَ المنيـعُ، وإن أَخطأتُ في المقـالِ؛ فأنتَ السميـعُ، وإنْ أَردتُ أَن أَسجُدَ له؛ فأَنا المطيعُ.

شعر:

إذا كانَ حَظِّي مِنْكُم الصَّـدُّ والجَفـا
فسِيَّـانُ إنْ جارَ الـزَّمـانُ وإن وَفـا

ومَن مُنْقِـذي مِن ظُلْمَـةِ الهَجْرِ والفـلا
إذا كانَ مِصبـاحُ الـوِصـالِ قدِ انْطَفـا

وكُـلُّ قليـلِ الحَـظِّ في الحُبِّ هٰكـذا
يُعَـدُّ جَميـلُ الـفِعْـلِ منـهُ تَكَلُّفـا

سأَبْكي ومـا يَجْـزي عنِ المُـذْنِبِ البُكـا
وأَقـضـي وقَـلْبـي بالصَّبـابَـةِ ما اشْتَفـا

فمـــا حيــلَةُ الــمَطــرودِ إلا بُكـــاؤُهُ

ولا فَرَج الــمــهـجــورِ إلا الـتــأَسُّـفــا

يا هٰذا! تأمَّـل ـ إنْ كنتَ ذا فِطنـةٍ ـ كم في خفايا تلك اللعنةِ مِن مِنَّةٍ، فأَنـا باللعنـةِ مسـرورٌ، ولستُ في الحقيقـةِ مهجـورٌ؛ لأنَّـه جَعَلني في ذِكرهِ مذكـورٌ، وفي كتـابـهِ مسطورٌ، مَحَلِّي مِن عبادِه الصدورُ، ومَنزلي مِن أوليائِهِ كُلُّ قلبٍ معمورٍ.

فلَئِنْ هَجَـرَ رَسْمي ؛ فمـا هَجَـرَ اسْمي ، ولَئِنْ رَفَضَ قلْبي ؛ فما رَفَضَ ذِكـري ، فمـا بَرِحَتْ مِنَّتُـه عليَّ ، وإحسـانُـهُ إليَّ ، وإن كانَ غضبـاناً عليَّ ؛ فحَسْبي مِن الحُبِّ سَلبي ، ومِن الــذكـرِ سَبِّي ، ورضيتُ مِن قربـهِ قُربي مِن أهـــلِ قربـــهِ، ومُـزاحَمَتي لأهـلِ محبَّتِـهِ، فلا أَزالُ أُزاحِمُهم على ذِكـرهِ، وأُســاهِمُهُم على نَوالَ بِرِّهِ، فلي مِن كلِّ عمـلٍ نصيبٌ، وإليَّ مِن كلِّ قلبٍ سهمٌ مصيبٌ

لما طرَدَني عنِ الحضارِ؛ سألْتُهُ الإنظارَ، فقال:

﴿إنَّكَ لَمِنَ المُنْظَرينَ﴾ [الأعراف: ١٥].

قلتُ: يا سيِّـــدي! كنتُ عليـكَ مُكَـرَّمـاً، وعنـدَ خَواصِّ حضـرتِـكَ معظَّمـا، حتى جاءَ منشورُ: ﴿لا يُسْـأَلُ عمَّا يفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فكانت ولايــةُ التَّكـريـمِ لآدمَ، فجـاءَ في منشـورِ ولايتِـهِ: ﴿ولَقَـدْ كرَّمْنـا بَني آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، ﴿أَرَأَيْتكَ هٰذا الذي كَرَّمْتَ عليَّ﴾ [الإسراء: ٦٢].

إنَّـكَ كنتَ لديَّ كريمـاً، وعليَّ عزيـزاً، إنَّمـا الكرامَةُ للماءِ المَهينِ، ولكَ العذابُ المُهينُ.

قلتُ: ﴿فبِعِزَّتِكَ لأغْوِيَنَّهُم أَجْمَعينَ﴾ [ص: ٨٢].

قالَ: يا لعينُ! أنا لعنْتُكَ، وأنتَ تُقْسِمُ بعِزَّتي؟

قلتُ: سيِّـدي! ليس عنـدي شيءٌ أعَـزُّ مِن عزَّتِـكَ، ولـولا حُبِّي لعزَّتِك؛ ما رضيتُك لي مَعبوداً، ولولا عظَمَةُ عزَّتِك ما أنكَرْتُ لآدَمَ سُجوداً، ولكنِّي تعزَّزْتُ بعزَّتِكَ، فلم أذُلَّ لأحدٍ غيرِك، فأَنا أُقسمُ بعزَّتِكَ التي تعزَّزْتَ بهـا على أَمثـالي، واستَغْنَيْتَ بهـا عَن أَشكـالي، لكنَّني لمَّـا أَلزَمَني القسمُ بعزَّتِكَ؛ فأنا أسْتَثْني في يَميني مَن هُو محمِيٌّ بحِمى عِصْمَتِكَ؛ ﴿إلا عِبادَكَ مِنْهُم المُخْلَصينَ﴾ [ص: ٨٣][1]، فاسْتِثْنـائي يدلُّـكَ على حسنِ ثَنائي، وصِدْقِ وَلائي، وصِحَّةِ دَعوايَ، فلا أسجُدُ لغيرِ وجهِكَ، ولا أُقسِمُ بغير عزَّتِكَ.

فقالَ: يا طريدُ! قد جَعَلْتُ لي حِزباً ولكَ حِزباً، فمَن كانَ لكَ سِلْماً؛ كانَ لي حَرْباً: ﴿أَلا إنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفْلِحونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ﴿ألا

---

(١) وهكذا يكشف عدو الله إبليس عن الحاجز بينه وبين الناجين من غوايته، الفارين من كيده ومصائده، والعاصم الذي يحول بينه وبينهم.

إنـه الإخـلاص، الـذي يخلصهم لله، فاصطفـاهم الله لنفسـه... هذا هو طوق النجاة، وحبل الحياة.

وانظر كتابي: «مقامع الشيطان» (ص ٢٩ ـ ٣١).

إنَّ حِزْبَ الشيْطانِ هُمُ الخاسِرونَ﴾ [المجادلة: ١٩][1].

قلتُ: يا سيدي! الأمانَ الأمانَ، فإنَّ الطالبَ لا يُطالَبُ، والغالبَ لا يُغالَبُ، والحاكِمَ لا يُحاكَمُ، والقويَّ لا يُقاوَمُ، ولكِنْ مِن شِقْوَتي أَقَمْتَني دونَ عبادِكَ، في صفِّ عِنادِكَ، لِنفوذِ مَشيئَتِكَ ومُرادِكَ، وكانَ مُرادي أَنْ أُريدَ ما تُريدُ، سبقَ القدَرُ: ﴿فَمِنْهُم شَقِيٌّ وسَعيدٌ﴾ [هود: ١٠٥].

شعر في المعنى:

لمَّا رأَيْتُ القَضاءَ يَمْضي ... عنْ غيرِ أَمْري ولا مُرادي

وخَيْلَهُ العادِياتِ تَجْري ... بالحُكْمِ في سائِرِ العِبادي

ولِلمَقادِيرِ صائِباتٍ ... تَقْنُصُ الأسْدَ في البَوادي

ما رُمْتُ شيئاً أُريدُ إلا ... إقامَةَ الحَرْبِ في عِنادي

وكُلَّما قدْ قَضاهُ يَمضي ... فما احْتِيالي وما اجْتِهادي

سيِّدي! وإن طرَدْتَني مِن قربِكَ، وحَرَمْتَني مِن حُبِّك؛ فلا تَطْرُدْني مِن حَرَمِ حزبِكَ وصحبِكَ.

فقال تعالى:

﴿إنَّ عِبادي ليسَ لكَ عليهِمْ سُلْطانٌ﴾ [الإسراء: ٦٥].

وقد نُفيتُ مِن خدمةِ السلطانِ، فلما كانَ ما كانَ، وما بقِيَ للصُّلحِ مكانٌ، اسْتُرْجِعَتْ خِلَعُ مَحْبوبي، ورُدِدْتُ إلى خِزانةِ: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُم عنْ

---

(١) في الأصل: «ألا حزب...» الآية، والصواب ما أثبته من المصحف.

دينِهِ فسوفَ يأْتي اللهُ بقومٍ يُحِبُّهُم ويُحِبُّونَه﴾ [المائدة: ٤٥].

قلتُ: سيدي! فما الذي عوضْتَ عن خِلْعَتي.

قالَ تعالى:

﴿وإِنَّ عليكَ لَعْنَتي﴾ [ص: ٧٨].

قلتُ: فكيفَ يطيقــونَ محبَّتَـكَ، وأَنـا على طريقِ محبَّتِهم لك، قد نصبتْ لهُم أَشــراكَ: ﴿لأضِلَّنَّهُم ولأمَنِيَنَّهُم ولآمُــرَنَّهُم فلَيُبَتِّكُنَّ آذانَ الأنعامِ ولآمُرَنَّهُم فلَيُغيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ﴾ [النساء: ١١٩].

قالَ: يا شقيُّ! هبكَ قطعتَ عليهِم طريقَ محبَّتِهم لي، فهلْ تقدِرُ أنْ تقطَـعَ عليَّ طريقَ محَبَّتي لهُم؟ إذا خَرَجَ لهُم مَنْشــورُ ﴿يُحِبُّهُم﴾؛ أَغنـاهُم عن علامَةِ ﴿يُحِبُّونَهُ﴾.

يا خبيثُ! إنَّما حَظُّكَ مِن الخلقِ كُلُّ خبيثٍ؛ ﴿الخَبيثاتُ للخَبيثينَ﴾ [النور: ٢٦].

إنمـا جعلتُ لكَ مِن العبـادِ مَن لا خيرَ فيهِ: ﴿إِنَّ شرَّ الدَّوابِّ عندَ اللهِ الذينَ كَفروا﴾ [الأنفال: ٥٥].

ولمَّـا جُمِـعَ البشـرُ في مُنْخُـلِ ﴿إِنَّا كُلَّ شيءٍ خَلَقْناهُ بقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وغُـرْبِلوا بغـربـالِ ﴿لِيَميزَ اللهُ الخَبيثَ مِن الطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧]، وقُسِّموا بقرعةِ: «هٰؤلاء إلى الجنة ولا أُبالي، وهٰؤلاء إلى النارِ ولا أُبالي»[1]،

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد (٤ / ١٨٦)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» =

فمـالَ إليـكَ أصحـابُ الشمـالِ ، ومالَ إليَّ أصحابُ اليمينِ ، وانْتَحَلْنا ممَّا انْتَخَلْنا طيِّبَ اللُّبابِ ، وألْقينا النُّخالَ للدوابِّ[1] .

فمَن يصلُحُ لخِدمَتي ؛ استخدمَكَ ، وأطال ندَمَكَ .

ومَن يصلُحُ لخِدمَتِكَ ؛ خَدَمَك ، وقبَّلَ قدمَكَ .

ومَن لا يصلُحُ للوقوفِ على بابي ؛ طردْتُهُ عن بابي إليكَ ؛ لأنك رأسُ

= (١ / ٣٠ و٧ / ٤١٧) ، وابن حبان (١٨٠٦ ـ موارد) ، والحاكم في «المستدرك» (١ / ٣١) ، وغيرهم ؛ من طرق عن معاوية بن صالح عن راشد بن سعد عن عبدالرحمن بن قتادة السلمي أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«إن الله عز وجـل خلق آدم ، ثم أخـذ الخلق من ظهـره ، وقـال : هٰؤلاء إلى الجنة ولا أبالي ، وهٰؤلاء إلى النار ولا أُبالي» .

فقال قائل : يا رسول الله ! فعلى ماذا نعمل ؟ !

قال : «على مواقع القدر» .

قال الحاكم :

«هٰذا حديث صحيح» .

ووافقه الذهبي ، وشيخنا في «الصحيحة» (٤٨) .

قلت : إسناده دون ذٰلك ، فإن معاوية بن صالح صدوق كما نص على ذٰلك الحافظان الذهبي وابن حجر ـ رحمهما الله ـ فهو حسن لذاته .

نعم ، الحديث صحيح ، فله شواهد عن جماعة من الصحابة ، منهم ابن عمر ، وأنس ابن مالك ، وأبو موسى الأشعري ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو نضرة ـ رضي الله عنهم .

فليـراجعهـا من شاء في «سلسلة الأحـاديث الصحيحـة» (٤٦ ـ ٥٠) ، و«مجمـع الزوائد» للهيثمي (٧ / ١٨٥ ـ ١٨٨) .

(١) في الأصل : «لدواب» ، والصواب ما أثبتُّه .

المطـرودينَ ، فاذْهَبْ فمَن تبعكَ منهُم : ﴿**لأملأنَّ جَهَنَّمَ منـكَ ومِمَّنْ تَبِعَـكَ منهُم أَجْمَعينَ**﴾ [ص : ٨٥].

وأَمــا مَن صلَحَ إلى جَنـابي ؛ دَعَـوْتُهم إلى بابي ، فسَلَكـوا في باديـةِ طلبِهِم إلى طريقِ ﴿**إيّـاكَ نعْبُـدُ**﴾ [الفاتحة : ٥]، ووصلْتُهم بدقيقِ ﴿**وإيَّاكَ نسْتَعينُ**﴾ [الفاتحة : ٥].

فإنْ نَصَبْتَ عليهِم أَشـراكَ الـوسواسِ ؛ فقدْ عوَّذْتُهم بعَوْذَةِ ﴿**قُلْ أعوذُ بربِّ النـاسِ**﴾ [النـاس : ١]، فلا يزالُ بي موصولاً ، ولا تُطيقُ إليهِ وُصولاً ، وقــد كتبتُ لهُم وُصــولاً ، علامَــةُ حُصـولـهِ ﴿**رَبِّ أَعـوذُ بكَ مِن هَمَـزاتِ الشَّيــاطينِ**﴾ [المــؤمنـون : ٩٧]، وإشـارة قبـولـهِ : ﴿**وأَعـوذُ بكَ ربِّ أَنْ يَحْضُرونِ**﴾ [المؤمنون : ٩٧]، إنْ نَزَلَ منزِلَ مُنازَلاتي ؛ قالَ : ﴿**رَبِّ أَنْزِلْني مَنـزِلاً مُبـاركـاً**﴾ [المؤمنون : ٢٩]، وإنْ دَخَلَ خلوةَ مُناجاتي ؛ قالَ : ﴿**رَبِّ أَدْخِلْني مُدْخَلَ صِدْقٍ وأَخْرِجني مُخْرَجَ صِدْقٍ**﴾ [الإسراء : ٨٠].

وأما مَن أوحيتَ إليهِ زُخْرُفَ غُرورِكَ ، وزَيَّنْتَ له أَماني زُوركَ ؛ فأُرسلُ إليكَ تَذكرةَ : ﴿**إنَّ الذينَ اتَّقَوْا إذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِن الشَّيْطانِ تذَكَّروا فإذا هُم مُبْصِرونَ**﴾ [الأعراف : ٢٠١].

وأمـا مَنِ اسْتَفْـزَزْتَهُ بصوتك ، وأَجلَبْتَ عليهِ بخيلِكَ ورَجِلِكَ ، فأُلبسه مِن أجلكَ درعَ : ﴿**إنِّي معكُمْ فثَبِّتوا الذينَ آمَنوا**﴾ [الأنفال : ١٢].

وأَمــا من أَوجَفْتَ عليــهِ بركـابِ : ﴿**ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِن بينِ أَيـديهم ومِن**

خلفِهِم وعن أَيمـانِهِم وعن شمـائِلِهِم﴾ [الأعـراف: ١٧]؛ فقـد حجبتُهُم بحجابٍ: ﴿لـهُ مُعَقِّبـاتٌ مِن بينِ يديـهِ ومِن خلفِـهِ يَحْفَظـونَـهُ مِن أمـرِ اللهِ﴾ [الرعد: ١١]، فإنْ تزل بأحدِهِم قدمُ زلَّةٍ، أو كبَت به مطيئةُ خطيئةٍ؛ أفرغْتُ عليـهِ غُفرانَ: ﴿ وإني لَغفَّـارٌ لِمَن تابَ﴾ [طـه: ٨٢]، وإنْ ظَفِرْتُ بمنْقَطِعٍ منهُم في مَقطعٍ قطيعةٍ ﴿وأَحاطَتْ بهِ خَطيئتُهُ﴾ [البقرة: ٨١][١]، فأخذتَ سلبَـهُ، ونهبتَ مكتَسَبَـهُ؛ فبينمـا إذ أنتَ تقسِّم السلبَ، وتقـول: أفسـدْتُ دينَهُ، وأَضعَفْتُ يقينَهُ، أَخْذُتُ صلاتَهُ، ونقضْتُ قيامَهُ وصيامَهُ، وهو منتَهَبٌ لديكَ، مُسْتَلَبٌ مِن يديكَ، إذ أَرسلتُ إليكَ مِن صدرِهِ نَبْلَةَ توبَةٍ[٢]، فأخذْتَ في الهـروبِ، وتـركتَ السلبَ، فسلطـانُـكَ عليهِم تعِـدُهُم وتُمنيهم، وإحساني إليهِم أَن يعرضَ عليهِم في ناديهم وأُناديهم:

«هـل مِن داعٍ فأَستجيبَ لهُ؟ هلْ مِن سائـلٍ فأُعطِيَـهُ؟ هل مِن تائبٍ فأَتوبَ عليهِ؟»[٣].

---

(١) في الأصل: «قد أحاطت. . .» الآية، والصواب ما أثبته من المصحف.

(٢) انظر كتابي: «التوبة النصوح»، نشر المكتبة الإسلامية، عمان.

(٣) جزء من حديث النزول.

وأحاديث النزول متواترة؛ كما نص على ذلك أئمة الحديث وجهابذته، منهم:

١ ـ شيخ الإسلام ابن تيمية في «شرح حديث النزول» (ص ١٠٧).

٢ ـ ابن قيم الجـوزيـة في «تهـذيب السنن» (٧ / ١٠٧)، و«مختصـر الصـواعق المرسلة» (٢ / ٢٤٨).

٣ ـ الذهبي في «العلو للعليّ الغفار» (ص ٧٣ و ٧٩). =

فأنتَ إنْ وَسِعَـــكَ أنْ تَجْـري في مجـاري دَمِهِم وعُـروقِهِم، فأنـا ما وسِعني سماواتي ولا أَرضي، ووسِعَني قلبُ عبدي المؤمن[1].

وإنِ اتَّصلتَ بصُدورِهِم، فأنا في سرِّهم وضميرهم:

---

٤ ـ ابن عبدالهادي في «الصارم المنكِّي» (ص ٢٢٠).

٥ ـ ابن حجر العسقلاني، نقله تلميذه السخاوي في «فتح المغيثة (٣ / ٤٣)، وأقره.

وغيرهم.

وانظر كتابي «الأدلة والشواهد» (٣ / ١٠١ ـ ١٠٢).

(١) هٰذا القول لا أصل له:

وهو من طامات الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٣ / ١٥)، حيث صرح:

«وفي الخبر قال الله تعالى: وذكره بزيادة لم أرها عند غيره».

قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٨ / ١٢٢ و٣٧٦):

«الحمد لله، هذا ما ذكره من الإسرائيليات ليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ».

ونقل ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١ / ١٤٨) عن ابن تيمية أنه موضوع.

وقال السيوطي في «ذيل الموضوعات» (ص ٢١٣):

«وهو كما قال».

وقال في «الدرر المنتثرة» (ص ١٥٧):

«لا أمل فيه».

وأقرهم القاري في «المصنوع» (ص ١٦٤).

وقال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٣ / ١٥):

«لم أر له أصلاً».

وأقره الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (٧ / ٢٣٤)، والسخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص ٣٧٣).

وزدته بسطةً في «سلسلة الأحاديث التي لا أصل لها».

«مَن ذكرني في نفسِهِ؛ ذكرْتُه في نَفْسي، ومَن ذَكَرني في ملأ؛ ذكرتُهُ في ملأ خيرٍ مِن ملئِهِ، ومَن أَتاني يمشي؛ أَتيتُهُ هرولةً»[1].

وإنْ كنتَ معهُم في سرورِهِم؛ فأنا معهُم في مغيبِهم وحُضورِهِم ﴿وهُو معكُم أَيْنما تكونوا﴾ [الحديد: ٤][2].

إن تَلَحستَ على أَبوابِ دورهم؛ فأنا معهُم في حُجورِهِم:

أَنا جليسُ مَن ذَكَرني.

وإنْ كنتَ عندَ جَسورِهِم؛ فأَنا عندَ مَكْسورِهِم:

تَجِدُني عندَ المنكسرةِ قلوبُهم من أجلي.

فقلتُ: يا سيِّدي! وعِزَّتِكَ التي قد أذَلَّتْني، وقدرتِك التي قد أَقْمَعَتْني، وقوَّتِك التي أَخْرَبَتْني، ما رضيتُ أَن أَتَلَحسَ على كناسةِ فضلِهِم؛ إلا لتَسَمُّعِ أَخبارِكَ، وتتبُّعِ آثارِكَ، وتَسَنُّمِ أَسرارِكَ، فأُزاحِمُهُم في أَوقاتِ خلواتِهِم بك، لعلَّكَ إذا تجلَّيْتَ عليهِم، وعطَفْتَ نظرَكَ الكريمَ إليهِم، فأكونُ في الحضارِ، إنْ لم أَكُنْ في النظارِ، فإنْ حُرِمْتُ النظرَ إليكَ، نظرتُ إلى مَن ينظرُ إليكَ، وإنْ هُنْتُ عليكَ، تمسَّكْتُ بأذيالِ مَن هُو عزيزٌ عليكَ.

---

(١) جزء من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه.
أخرجه البخاري (١٣ / ٢٨٤ ـ الفتح)، ومسلم (١٧ / ٢ ـ ٣ و١٢ ـ نووي).

(٢) معهم بعلمه، وانظر كتابي: «أين الله؛ دفاع عن حديث الجارية رواية ودراية» (ص ٩١ ـ ٩٧)، فهناك بحث طويل حول هٰذه الآية.

شعر:

أَحِـبَّـاؤنـا إِنْ جُرْتُـم أَو هَجَـرْتُـم
وحَـقِّـكُـمُ لا حُلَّ عقـدُ وَلاكُـم

ولا اسْتَحْسَنَتْ عيْني جَمـالاً رأيْتُـهُ
سِواكُـم ولا سُرَّتْ بغـيـرِ لِقـاكُـم

قضَـيْتُـم بوَشْـكِ الـبَيْنِ(١) بيني وبينَكُم
فمـا حيلَتـي إلا الـرِّضـا بقـضـاكُـم

وكـانَ مُنـايَ أَنْ يدومَ لِيَ الـصَّـفـا
فكـانَ الـجَـفـا والـهَـجْـرُ كُلَّ مُرادِكُم

ولـي حُرْمَـةُ الـجـارِ الـقـديـمِ ومَن لهُ
حِفـاظٌ ومَـن أَولاكُـمُ وارتـضـاكُـم

فواللهِ ما أَنْـسـى وقـدْ مرَّ لي بكُـم
زمـانُ رِضـىً في ظِلِّكُـم وحِـمـاكُـم

أَتـيـهُ على الأكْـوانِ عُجْـبـاً بِحُـبِّـكُـم
وأَغـدو وقَـلْبـي آمِـنـاً مِن جفـاكُـم

ومـا كَانَ ظَنِّـي أَنَّـنـي بعـدَ صَفْـوَتي
أَعـودُ على حُكْـمِ الـهـوى مِن عِداكُم

---

(١) سرعة الفراق.

على شُؤمِ بَخْتي كانَ عنوانُ شِقْوَتي
صُدودُكُم عنِّي وما لي سواكُمُ
وكانَ رِضاكُمْ في رِضايَ بِسُخْطِكُم
عليَّ فأَهْلاً في الهَوى بِرضاكُم
وما حِيلَتي إلا وقوفي ببابِكُم
لعلَّكُمُ أَنْ تَعْطِفوا أو عَساكُمُ
أَمُدُّ إلى إحسانِ حُسْنِكُم يدي
أُرَجِّي غِنى فَقْري بفضْلِ غِناكُمُ
دَعاني إليكُم جودُكُم فأَجَبْتُكم
وعادتُكُم أَنْ تَجْبُروا مَن أَتاكُمُ
فإنْ تَحْرِموني نَظرةً مِن جمالِكُم
فلا تَحْرِموني عبقَةً مِن شذاكُمُ
وإني لآتي أَرْضَكُم لا لحاجَةٍ
لعَلِّي أَراكُم أو أَرى مَن يَراكُمُ

فقلتُ له: يا شقيُّ! لا يُفيدُك تجلُّدُك، ولا يردُّ عنكَ تمرُّدُكَ، فإنَّه لا يُقاسُ صحيحٌ بمكسورٍ، ولا مواصَلٌ بمهجورٍ، وأَينَ الشقيُّ من السعيدِ؟! وأَينَ القريبُ مِن الطَّريدِ؟! فارْجِعْ إلى حقيقةِ الحقِّ، وطريقةِ الصدقِ، وهاتِ حدِّثْ عن حالِكَ الحالِكِ، وما لكَ معَ المالكِ؟

فقالَ: يا هٰذا! لا تُجَدِّد عزاءً عزَّ إشفاؤُهُ، وداءً قلَّ دواؤه، فوالله ما

أصـابَ أحـداً مُصابي، ولا عُذِّبَ أُحدُ عذابي، ضُربْتُ بسوطِ حِجابي، هو نَغَّصَ عليَّ صافي شَرابي، وأيُّ مُصيبةٍ أعظمُ مِن عزيزِ قومٍ ذلَّ، وغنيِّ قومٍ افْتَقَرَ؟!

يا هٰذا! اعلم أنَّـه على قدرِ الصعـودِ يكونُ الهبوطُ، وعلى قدرِ الرفعةِ تكونُ المنزلَةُ، فكيفَ يكونُ حالُ مَن رَقا إلى أعلى مراتِبِ مَراقي التُّقى، ثمَّ هوى إلى أدنى مَهـاوي الشَّقـا؟! كيفَ يكونُ حالُ مَن كانَ كُلُّ ما في الكونِ عوناً له، فأصبحَ كلُّ ما في الكونِ عوناً عليهِ؟!

يا هٰذا! مَن نُظِرَ إليهِ بعينِ المقتِ، كُدِّرَ عليهِ الوقتُ.

يا هٰذا! كنتُ أيَّـام صلحي له صالحـاً بكـلِّ شيءٍ، يَتَصَلَّحُ بي كلُّ شيءٍ، فحينَ هدمْتُ هدنـةَ الصلحِ بيني وبينَـه؛ لم أَصْلُحْ لشيءٍ، بل فسدَ بي كلُّ شيءٍ.

أَحْبَبْتُـه، فحُبِّبْتُ إلى كلِّ شيءٍ، فلمـا ناقَشَني التحقيقَ عنـدَ عالَمِ القَدَرِ؛ بطلَ دَعوى محبَّتي، فبَغَّضَني إلى كلِّ شيءٍ.

كنتُ في أيـام صفْـوِ المعاملةِ قدوةً للطائِعينَ، فلمَّا انْقَطَعَتْ المعامَلَةُ بيني وبينَـه؛ صرتُ عُكَّـازةً للعـاصينَ والخـاطئينَ، إنْ زلَّ أحـدُهم؛ قال: ﴿إنَّمـا اسْتَـزَلَّهُم الشيطانُ﴾ [آل عمران: ١٥٥]. وإنْ ضلَّ أحدُهم؛ قالَ: إنَّما أضلَّهُم الشيطانُ. وإنْ نَسِيَ أحدُهُم؛ قال: ﴿هٰذا مِن عَمَلَ الشَّيطانِ﴾ [القصص: ١٥].

فأنـا حمَّـال أوزارِ المذنبين، وحمَّالُ أثقالِ الخاطئينَ، وماذاكَ إلا لأنِّي سَنَنْتُ سنَّةَ المُخالَفةِ، والخروجِ عن الأمرِ، فأنا أَوَّلُ مَن سنَّ سنَّة المعصيةِ.

«ومَن سنَّ سُنَّةً سيِّئةً؛ فعليهِ وِزْرُها ووِزْرُ مَن عَمِلَ بها إلى يومِ القيامَةِ»[1].

فلمَّا استَنَّ آدمُ بسنَّتي، وزَلَقَ في مزلقِ المعصيةِ؛ تلقاهُ مُعينُ: ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَبِّهِ كَلِماتٍ فتابَ عليهِ**﴾ [البقرة: ٣٧].

فكانَ آدَمُ أولَ مَن سنَّ سنَّةَ التَّوبةِ؛ فلهُ أَجْرُها وأجْرُ مَن عَمِلَ بها إلى يومِ القيامَةِ.

يا هٰذا! فليتَني هلَكْتُ مع الهالِكينَ، ليتَني ذهبْتُ معَ الذَّاهِبين، ليتَ النارَ التي خُلِقْتُ منها كانَتْ رَماداً لم تقدَحْ زِناداً.

ثمَّ؛ لكمـالِ شِقْـوَتي، سأَلْتُ الإنظـارَ، فصِرْتُ أُضْحوكَةً للحُضَّارِ، أذوبُ إذا سمعتُ الـذَّاكِـرينَ، وأتَمَـزَّقُ إذا رأَيْتُ الشَّـاكِـرينَ، واحدٌ أَفِرُّ مِن ظلِّهِ، وواحدٌ أَهْرُبُ مِن زَكِيِّ فعلِهِ، وواحدٌ تَحْرِقُني أَنْفاسُهُ، وواحدٌ يُعجِزُني مراسُه.

ليس العجبُ مِمَّنْ أَفْـزَعُ منـهُ وهـو في صلاتِـهِ وصومِهِ، إنَّما العَجَبُ

---

(١) جزء من حديث جرير بن عبدالله البجلي.
أخرجه مسلم (١٦ / ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ـ نووي)، وغيره.

ممَّنْ أَفْزَعُ منهُ وهو في لذيذِ نومِهِ، جسَدُهُ يتقلَّبُ على الفرْشِ ، وروحُهُ تتنزَّهُ في العرشِ ، ترفعُهُ أنفاسُ الأشواقِ، وأَنا أُرْجَمُ بشُهُبِ الإحراقِ.

إذا تابَ التائِبُ؛ قَصَمَ ظهْري ، وإذا رَجَعَ الآيِبُ نَقَصَ عُمُري ، كُلُّ ما بَنَيْتُه معَ العاصي في سنةٍ، تهْدِمُهُ التَّوبَةُ في سِنَةٍ، فأَنا في ويلٍ لا يزولُ، وحربٍ لا يَحولُ، وحُزْنٍ شرحُهُ يطولُ.

أَقامَني في صفِّ محارَبَتِهِ؛ فهُزِمْتُ، ونازَلَني في معرَكِ مغالَبَتِهِ؛ فغُلِبْتُ، وأَخْرَجَ عليَّ مِن كمينِ الإرادةِ قُطاعَ طريقِ الأملِ ؛ فنُهِبْتُ، وشنَّ عليَّ غاراتِ قهرِهِ؛ فلُعِنْتُ، وسدَّ عنِّي أَبوابَ رحمَتِهِ؛ فطُرِدْتُ، فالتَجأْتُ إلى جبريلَ، فما أَلجأَني ، فاستعنْتُ بميكائيل، فما أَلجأَني ، واستغثْتُ بإسرافيلَ، فقالَ لي : أَنتَ الجاني ، واستَصْرَخْتُ[1] بعزرائيل[2]، فما رعاني ، فأَويتُ إلى كلِّ شيءٍ، فما آواني ، واحْتَمَيْتُ بكُلِّ شيءٍ، فما حَماني .

فلما رأيتُ الكونَ قد تَلاني ، والكلَّ[3] قد هجاني ، وداعي القطيعةِ قد دَعاني ؛ أَلقيتُ هنالِكَ سِلاحي ، وأَلقيتُ بقَدَري ونُواحي في سائرِ

---

(١) في الأصل: «استطرخت»، والصواب ما أثبتُّه.

(٢) لا يصح تسمية ملك الموت بعزرائيل، وإنما هٰذا الاسم من الإسرائيليات، فتنبه، ولا تكن من الغافلين.

(٣) هكذا في الأصل، والصواب أن (ال) التعريف لا تدخل على (كل)، ولا تغرنك كثرة الاستعمال، فإنها من الأخطاء الشائعة.

الجهاتِ والنَّواحي، ورضيتُ بلَعْنَتي وافْتِضاحي في البُكورِ والأضاحي.

شعر في المغنى:

ومـا لي لا أُصَـرِّخُ بالـنُّـواحـي
على تِلْكَ الـمَـنـازِلِ والـنَّـواحـي
دِيـارٌ كانَ فيـهـا صَفْـوُ عَيْـشـي
وفـيـهـا طابَ خَلْعي وافْـتِـضـاحي
عَهِـدْتُ بهـا مُدامَ الـحُـبِّ تُجْـلى
ومـا أَحَـدٌ مِن الـعُـشّـاقِ صاحـي
وسـاقـيـهـا بحـانَـتِـهـا يُنـادي
على الـنُّـدَمـاءِ حَيَّ على الـفَـلاحِـي
فإنْ أَبْـدَيْـتُ حُزْنـي لا تَلُمْـنـي
فليسَ على الـمُـتَـيَّـمِ مِن جُنـاحـي
رُمِـيـتُ بسـهْـمِ بَيْـنٍ مِن حبـيـبٍ
وسَـهْـمُ الـبـيـنِ أَنْكـى في الجِـراحي
فرُحْـتُ وراحَـتـي مِمَّـا أُلاقـي
بُكـاءٌ في الـغُـدُوِّ وفـي الـرَّواحـي

وبعدُ؛ فإنَّه جعَلَني سبباً لوجودِ الزَّلَّةِ، وعلةً لتوجُّهِ الأمرِ والنَّهْي، وإلا في الحقيقةِ لا علَّةَ لأمرِهِ، ولا مُعَقِّبَ لحُكْمِهِ، ولا سببَ لبُعدِ أَعدائهِ، ولا نسبَ لقرْبِ أَوليائِه، فإنَّ الله تعالى غنيٌّ عن خلقِهِ، قائمٌ بنفسهِ، قيُّومٌ

بعبادِهِ، لا تنفَعُهُ حسَناتُ المحسِنينَ، ولا تضرُّهُ سيِّئاتُ المسيئينَ، فقدْ أَنفَذَ حكْمَهُ، ومضى قضاؤهُ، وجفَّ قلمُه بما هو كائنٌ في ملكِهِ، كلُّ ذٰلك داخلٌ في علمِهِ، دائرٌ في دائرَةِ حُكْمِهِ، ما يُبَدَّلُ القولُ لديهِ، ولا يُنْقَضُ ما أَبْرَمَهُ عليهِ، قولُهُ الحقُّ، ووعدُهُ الصدقُ، إنْ وعَد وفا، وإن تواعدَ عَفا، فهو بالخيارِ؛ إنْ شاءَ عذَّب وإنْ شاءَ عَفا، لا يلزمهُ إثباتُ الوعيدِ، بل الأمرُ إليهِ في وعيدِهِ، والمشيئةُ إليهِ في تَهديدِهِ(١)، فلهُ أَنْ يُعَذِّبَ بلا سببٍ، وأَنْ يُسْعِدَ بلا نسبٍ ولا مكتَسَبٍ.

وهو في كلِّ فعلِهِ عادلٌ غيرُ ظالمٍ(٢)؛ لأنَّ الظلمَ عبارةٌ عنِ التصرُّفِ في ملكٍ بغيرِ حقٍّ، وهو ـ سبحانه وتعالى ـ لا شريكَ لهُ في ملكِهِ، ولا مُنازِعَ له في عبادِهِ، ولا يُشبِهُ فعْلُهُ فعْلَ خَلْقِهِ، ولا يُقاسُ حكمُهُ بحُكْمِ عبادِهِ، فلهُ الخَلْقُ والأمْرُ، تبارَكَ الله ربُّ العالَمين: ﴿**لا يُسْأَلُ عمَّا يَفْعَلُ وهُم يُسْأَلونَ**﴾ [الأنبياء: ٢٣](٣).

تم بحمدِ الله وعونِه وحُسْنِ توفيقِهِ في وقتِ العصرِ يومَ السبتَ المباركِ

---

(١) مسألة: «هل يجوز أن يخلف الله وعيده؟» من أكبر مسائل العلم، وقد رجح شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١٤ / ٤٩٨) عدم ذلك، فانظره.

وله كلام ماتع حول هٰذه المسألة (١١ / ٦٤٦ ـ ٦٤٩).

(٢) لكنه ـ جل جلاله ـ حرم الظلم على نفسه، وجعله بين عباده محرماً؛ كما في الحديث القدسي الذي رواه أبو ذر الغفاري، وأخرجه مسلم (١٦ / ١٣١ ـ ١٣٢)، وغيره، وانظر «الوصية الصغرى» بتحقيقي (ص ٥٢ ـ ٥٣).

(٣) وقد أوعب ابن قيم الجوزية في تفسيرها في كتابه الفذ: «**شفاء العليل**»، فلينظر.

ثامِنَ عشرَ مِن ذي الحجةِ الحرامِ ختامَ عامِ سنة تسعين بعد الألفِ على يدِ مُنَمِّقِهـا العبـدِ الفقيـرِ إليـهِ سبحانَهُ وتعالى الراجي الختامَ بالحُسْنى ممَّنْ له الخلقُ والأمْر الحقيرِ يحيى بن العبدِ الفقير محمد بن العبدِ الفقيرِ صالح بن العبد الفقير محمد، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين(١).

□□□□□

(١) قلت: وكان الفراغ من تحقيقه، والتعليق عليه، وتخريج أحاديثه، وضبط نصه؛ في مجالس آخرها يوم الخميس لليلة مضت من شهر شعبان، سنة ألف وأربع مئة وتسع من هجرة رسول الله ﷺ، في عمان البلقاء، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

الفهارس

- فهرس الآيات
- فهرس أطراف الأحاديث
- فهرس المراجع والمصادر
- فهرس المواضيع والفوائد

فهرس الآيات

□□□□□

فهرس أطراف الأحاديث

□□□□□

ثبت المراجع والمصادر

- «إتحاف السادة المتقين» : الزبيدي ، دار الفكر.
- «الاحتجاج بالقدر» : ابن تيمية ، المكتب الإسلامي
- «إحياء علوم الدين» : الغزالي ، دار المعرفة .
- «الأدلة والشواهد» : المؤلف ، دار الصحابة .
- «أصول الدين» : عبدالقاهر البغدادي ، دار الكتب العلمية .
- «الأعلام» : الزركلي ، دار العلم للملايين .
- «إغاثة اللهفان» : ابن القيم ، دار المعرفة .
- «أين الله» : المؤلف ، الدار السلفية .
- «البداية والنهاية» : ابن كثير، مكتبة المعارف .
- «تلبيس إبليس» : ابن الجوزي ، دار الكتب العلمية .
- «تنزيه الشريعة» : ابن عراق ، دار الكتب العلمية .
- «تهذيب سنن أبي داود» : ابن القيم ، دار المعرفة .
- «الدرر المنتثرة» : السيوطي ، المكتب الإسلامي .
- «دستور الولاية» : محمد هاشم البغدادي ، طبع سنة ١٤٠٧هـ .
- «ذيل الموضوعات» : السيوطي .
- «سلسلة الأحاديث التي لا أصل لها» : المؤلف ، مخطوط .

- «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: الألباني، المكتب الإسلامي.
- «شذرات الذهب»؛ ابن العماد الحنبلي، دار المسيرة.
- «شرح حديث النزول»: ابن تيمية، المكتب الإسلامي.
- «شرح صحيح مسلم»: النووي، دار إحياء التراث العربي.
- «شرح العقيدة الطحاوية»: ابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي.
- «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»: ابن القيم، دار المعرفة.
- «الصارم المنكي»: ابن عبدالهادي، دار الكتب العلمية.
- «الطبقات الكبرى»: ابن سعد، دار صادر.
- «العلو للعلي الغفار»: الذهبي، دار الفكر.
- «فتح الباري»: ابن حجر، دار الفكر.
- «فتح المغيث»: السخاوي، دار الكتب العلمية.
- «كشف الظنون»: حاجي خليفة، دار الفكر.
- «لسان العرب»: ابن منظور، دار صادر.
- «مجمع الزوائد»: الهيثمي، دار الكتاب العربي.
- «مجمع الفتاوى»: ابن تيمية، طبع السعودية.
- «مختصر الصواعق المرسلة»: ابن القيم، دار الفكر.
- «مرآة الجنان»: اليافعي.
- «المستدرك»: الحاكم، دار الفكر.
- «المسند»: أحمد بن حنبل، دار الفكر.
- «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع»: علي القاري الهروي، مكتب المطبوعات الإسلامية.
- «معجم المؤلفين»: عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث.
- «المغني عن حمل الأسفار»: العراقي، بهامش «إحياء علوم الدين».

- «المقاصد الحسنة»: السخاوي، دار الكتاب العربي.
- «مقامع الشيطان»: المؤلف، دار ابن الجوزي.
- «موارد الظمآن»: الهيثمي، دار الكتب العلمية.
- «النهاية في غريب الحديث والأثر»، ابن الأثير، المكتبة الإسلامية.
- «هدية العارفين»: البغدادي، دار الفكر.
- «الوصية الصغرى»: ابن تيمية، تحقيق المؤلف، الطبعة الأولى.

□□□□□

فهرس المواضيع والفوائد

الموضوع	الصفحة

□□□□□

صدر للمحقق

١ ـ «تفليس إبليس».

٢ ـ «حلاوة الإيمان في ضوء الكتاب والسنة الصحيحة».

٣ ـ «الحياء في ضوء الكتاب والسنة الصحيحة».

٤ ـ «الرياء؛ ذمه، وأثره السَّيِّىء في الأمة».

٥ ـ «صحيح الوابل الصَّيِّب».

٦ ـ «مقامع الشيطان في ضوء الكتاب والسنة الصحيحة».

سيصدر قريباً

١ ـ «الخشوع وأثره في بناء الأمَّة».

٢ ـ «صفحات مطوية من حياة سلطان العلماء العز بن عبد السلام».